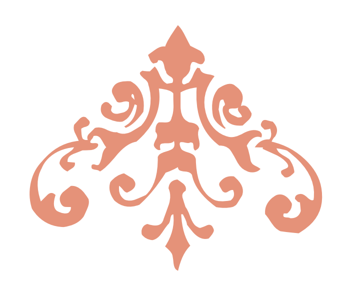


برنامج اليوم الكامل
في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

اليوم النبوي

تأليف
عبد الوهاب بن ناصر الطريري



مقدمة

في مدينة النَّخِيل.. مدينة القلوب النَّضِرة.. يسكن قلبه.. وتُوْرِقُ عيناه.. فهذا المكانُ مكانُه.. والمدينةُ مدينتُه.. والأهلُ أهلُه.. دخلَ المدينةَ فأضاءَ منها كلُّ شيء، وأحبَّه أهلُها ومظاهرُ الطبيعة فيها؛ فهذا «**أُحُدٌ**» يحبُّه ويبادله الحبَّ.. هذه الأزقَّة ستعرف خطوتيه.. هذا المسجد وتلك الغرفات الصغيرة على جانبه.. هؤلاء الرجال الأوفياء يلتفُّون حولَه.. يحيطون به.. يحبُّهم ويحبُّونه.. يلتقي بهم وينفرد مع الله..

في هذه السيرة اليومية نترحَّل مع ساعات يوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنَّا نعيش معه بساطة الحياة العظيمة، وعفوية الحياة الجادة، والتوازن بين مناشط الحياة، والتكامل لاستيفاء الاحتياجات.

ترى حيوية الحياة وتدفُّقها في تدافع ساعات هذا اليوم، اللحظات في حياته لا تمر عابرة دون استثمار.

كان يَعْقِد صفقاته مع الحياة في كل ثانية في بيته، ومسجده، وفي أزقَّة مدينته، وبيوت أصحابه، وعلى حَصِير جلوسه، وسُفْرة طعامه، وفراش نومه.

كانت عيون مَن حوله كاميرات شديدة الدِّقَّة والملاحظة، حتى الظلام لم يكن ساتر القلوب التي عشقت هذا النبي، وأرادت أن تعرف كيف كان يقضي ليله، وحتى الحيطان لم تكن طويلة لتحجب حياته الخاصة، كانت القلوب والعيون داخلة معه حتى يأوي إلى فراشه، ترمقه في استغراق نومه، وفي وثوب استيقاظه.

لم يكن عاديًّا يبدأ من الصباح ويضمر في المساء، تشعر لفرط نشاطه أن كل لحظة هي بداية له، هو رجلُ اقْتِناصِ الفرص ورجلُ اللحظة. يفهم بفطرة النبي الرسول أن الدقيقة محسوبة ولها إنجازها.. والساعة محسوبة ولها إنجازها... واليوم محسوب وله إنجازه... والأجل ينصب خيامه على مشارف العمر.

في هذه الصفحات نعيش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صباحه ومسائه، نمشي معه في أسواق المدينة، نأكل من كفافه، نسمع صوته الحاني معلِّمًا، وصوته المُخْبِت مصلِّيًا، نجلس على حَصِيره البسيط الذي كان يجلس عليه، ونأكل من طعامه القليل الذي يُؤْثَر به، يمكنك أن تدخل بيته من وصف صحابته له.. ويمكنك أن تراه نائمًا وصف له، ويمكنك أن تُجلِس في حِجْره رضيعًا، وعلى ظهره طفلًا.. يحظى بدفئه وبركته.

إذًا كيف كان يتعامل هذا الإنسان العظيم النبي الكريم مع طبيعته البشرية ومشروعه الرسالي؟!

كيف كان يتعامل مع دورة الزمن اليومية؟!

كيف كان يقضيها؟!

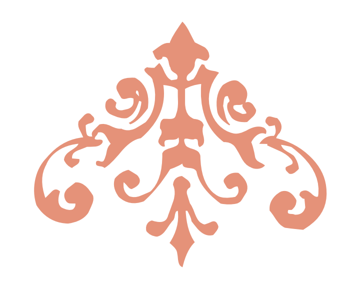
هذا يوم: النبي، الرسول، الإنسان، المسؤول، الأب، الزوج، الصديق..

هذا «**اليوم النبوي**»، وهذا الكتاب بين يديك..

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

مكة المكرمة ٢٠/ ٧/ ١٤٣١هـ

الجمعة ظهرًا



أنوار الفجر

يصدَعُ نورُ الفجر ظلمةَ الليل، ويصدَعُ أذانُ بلال رضي الله عنه سكونَ المدينة، ويوافي ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم نائمًا؛ ليستريح البدن الشريف ساعة السَّحَر بعد سَبْح طويل من قيام الليل.

فإذا أَذَّنَ بلالٌ رضي الله عنه استيقظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأولُ شيء يفعله أن يتناول سواكه فيستاك به[1]، ثم يقول: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور**»[2].

(١) ينظر: «مسند أحمد» (٣٥٤١، ٢٣٢٤٢، ٢٣٣٣٦، ٢٤٢٦٩)، و«صحيح البخاري» (٢٤٦)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥، ٧٤٦)، و«سنن أبي داود» (٥٥، ٥٦، ٥٨، ١٣٥٣)، و«سنن ابن ماجه» (١١٩١)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص ١١٠)، و«سنن النسائي» (٢، ١٣١٥، ١٦٠١، ١٦٢١، ١٦٢٦، ١٧٢١)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٠٧٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٧٢، ١٠٧٥، ٢٤٤١)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٧٦٢)، و«شعب الإيمان» (١٩٣٦)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٨، ٣٩)، و«فتح الباري» (٢/ ٣٧٥)، و«فقه العبادة» للشيخ سلمان العودة ( ).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٦٠٣، ٢١٣٦٦، ٢٣٢٨٦)، و«صحيح البخاري» (٦٣١٢، ٧٣٩٥)، و«صحيح مسلم» (٢٧١١)، و«سنن أبي داود» (٥٠٤٩)، و«جامع الترمذي» (٣٤١٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٨٠)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٣٢، ٥٥٣٩).

ثم يجيب المؤذِّنَ بمثل ما يقول، فإذا قال: الله أكبر الله أكبر. قال: «**الله أكبر الله أكبر**». وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله. قال: «**وأنا**». وإذا قال: أشهد أنا محمدًا رسول الله. قال: «**وأنا**». وإذا قال: حيَّ على الصلاة. قال: «**لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله**». وإذا قال: حيَّ على الفلاح. قال: «**لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله**». وإذا قال: الله أكبر الله أكبر. قال: «**الله أكبر الله أكبر**». وإذا قال: لا إله إلا الله. قال: «**لا إله إلا الله**»[٣].

ثم ينبعث رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان به حاجة إلى الغُسل اغتسل، وإن كان به حاجة إلى الوُضوء توضَّأ.

وربما قام إلى الصلاة من غير وضوء، فيقال له في ذلك، فيقول: «**تنام عيناي، ولا ينام قلبي**»[٤].

ثم يصلِّي ركعتي الفجر؛ فيصلِّي صلاةً خفيفة، حتى يقول القائل: هل قرأ

---

(٣) ينظر: «الصلاة» لأبي نعيم الفضل بن دُكين (١٩٦، ١٩٨)، و«مسند الدارمي» (١٢٣٨)، و«مسند أحمد» (٢٤٩٣٣)، و«صحيح البخاري» (٩١٤)، و«سنن أبي داود» (٥٢٦)، و«صحيح ابن حبان» (١٦٨٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩/ ٣١٨، ٣٧٢) (٧٢٠، ٨٧٤)، و«الدعاء» للطبراني (٤٣٧، ٤٤٠، ٤٥١)، و«المستدرك» (١/ ٢٠٤)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٠٩).

(٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٩١١، ٢٤٠٧٣)، و«صحيح البخاري» (١١٤٧، ٢٠١٣، ٣٥٦٩)، و«صحيح مسلم» (٧٦٣)، و«سنن أبي داود» (١٣٤١)، و«جامع الترمذي» (٤٣٩)، و«سنن النسائي» (١٦٩٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤٨، ٤٩، ١١٦٦)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٣٠، ٦٣٦٨).

فيها بأم الكتاب[٥]؟ لشدة ما يخففها، يقرأ فيها بعد الفاتحة في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأحيانا يقرأ في الركعة الأولى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الثانية: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾ [آل عمران: ٦٤][٦].

فإذا فرغ من صلاته؛ فإن كانت زوجته مستيقظة تحدَّث معها حديث المؤانسة والإسعاد، فما ظنك بزوجة محبّة تستفتح أنوار يومها بحديث المودة من زوجها! وإن كانت نائمة اضطجع على شقّه الأيمن حتى يحين موعد إقامة الصلاة[٧].

فإذا رأى بلالٌ رضي الله عنه أن الناسَ قد اجتمعوا في المسجد أتى إلى رسول

(٥) ينظر: «المصنف» لعبد الرزاق (٤٧٩٢)، و«مسند أحمد» (٢٤١٢٥، ٢٥٣١٥)، و«صحيح البخاري» (٦١٨، ٦١٩، ١١٧١)، و«صحيح مسلم» (٧٢٣ - ٧٢٥، ٧٣٦)، و«سنن أبي داود» (١٢٥٥)، و«جامع الترمذي» (٤٥٩)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٥٨)، و«سنن النسائي» (٦٨٥، ٩٤٦، ١٧٥٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١١٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٦٦)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٤٣-٤٤).

(٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٠٤٥، ٢٣٨٦، ٤٩٠٩، ٢٥٥١٠)، و«صحيح مسلم» (٧٢٦، ٧٢٧)، و«سنن أبي داود» (١٢٥٦)، و«سنن ابن ماجه» (١١٤٨)، و«سنن النسائي» (٩٤٤، ٩٤٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١١٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣١٢٣)، و«المستدرك» (١/ ٣٠٧)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٤٢)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ١٠١) (٢٥٤٦).

(٧) ينظر: «مسند الحميدي» (١٧٥)، و«صحيح البخاري» (١١٦١، ١١٦٨)، و«صحيح مسلم» (٧٤٣)، و«سنن أبي داود» (١٢٦٣)، و«جامع الترمذي» (٤١٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٢٢)، و«مسند أبي عوانة» (٢١٥٦، ٢١٥٧)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٨)، (٣/ ٤٥)، و«فتح الباري» (٣/ ٤٤).

الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنادى: الصلاة يا رسولَ الله[٨].

فيخرجُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، فإذا خرج من بيته رفع طَرْفه إلى السماء، وقال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهمَّ إني أعوذُ بك أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أَو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[٩].

فإذا دخل المسجدَ قال: «**بسم الله، والسلامُ على رسول الله، اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبواب رحمتك، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرَّجِيم**»[١٠].

(٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٧٢)، و«سنن النسائي» (٦٨٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٣٩٩، ١٣٣٨، ١٦٥٠)، و«مسند أبي عوانة» (٢٢٨٥)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٤٦٠)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٧).

(٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٧١٢، ١٧٣٥)، و«مسند أحمد» (٢٦٦١٦، ٢٦٧٠٤، ٢٦٧٢٩)، و«مسند عبد بن حميد» (١٥٣٦)، و«سنن أبي داود» (٥٠٩٤)، و«جامع الترمذي» (٣٤٢٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٨٤)، و«سنن النسائي» (٥٤٨٦، ٥٥٣٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٣٢٠) (٧٢٦)، (٢٤/ ٩) (١١)، و«المعجم الأوسط» (٢٣٨٣)، و«الدعاء» للطبراني (٤١١-٤١٤، ٤١٦-٤٢٠)، و«جزء الألف دينار» للقطيعي (١٧٨)، و«المستدرك» (١/ ٥١٩)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٦٢، ٤٥٣)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٢٥١)، و«نتائج الأفكار» للحافظ ابن حجر (١/ ١٥٦-١٦٥).

(١٠) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٦٦٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤١٢، ٢٩٧٦٤)، و«مسند أحمد» (٢٦٤١٦، ٢٦٤١٧، ٢٦٤١٩)، و«سنن أبي داود» (٤٦٦)، و«جامع الترمذي» (٣١٤)، و«سنن ابن ماجه» (٧٧١)، و«المعجم» لأبي يعلى (٦٧٥٤، ٦٨٢٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٤٢٣) (١٠٤٣)، و«الدعاء» للطبراني (٤٢٣، ٤٢٤)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٦٨)، و«شرح السنة» للبغوي (٤٨١).

فإذا رآه بلالٌ داخلًا المسجدَ أقام الصلاةَ[11]، وإذا رآه أصحابُه قاموا إلى الصلاة[12].

وربما خرج ورأسُه يَنْطِفُ[13] ماءً من أثر الغُسل، وربما خرج ووقف في مصلَّاه، ثم تذكَّر أنه جُنُبٌ ولم يغتسل، فقال لهم: «**مكانكم**». ثم رجع إلى بيته فاغتسل، ثم خرج إليهم ورأسه يَقْطُرُ ماءً[14].

فلم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يتكتَّم هذه الأمور ويتحرَّجها، وإنما كان بشرًا من البشر، يرى الناسُ في حياته وقائعَ حياتهم.

فإذا قام في مصلَّاه قال لأصحابه: «**سَوُّوا صفوفَكُم وتراصُّوا؛ فإن تسوية**

(١١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٠٨٠٤، ٢٠٨٤٩، ٢٠٨٥٢)، و«صحيح مسلم» (٦٠٦)، و«سنن أبي داود» (٥٣٧)، و«جامع الترمذي» (٢٠٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٥٢٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩١٢)، و«المستدرك» (١/ ٢٠١-٢٠٢، ٢١٣، ٢٨٦)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٨٥)، (٢/ ١٩).

(١٢) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أُقيمت الصلاة، فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت**». ينظر: «مسند الطيالسي» (٦٢٢)، و«مسند أحمد» (٢٢٥٣٣، ٢٢٥٨١، ٢٢٥٨٧)، و«صحيح البخاري» (٦٣٧، ٦٣٨، ٩٠٩)، و«صحيح مسلم» (٦٠٤)، و«سنن أبي داود» (٥٣٩، ٥٤٠)، و«جامع الترمذي» (٥٩٢)، و«سنن النسائي» (٦٨٧، ٧٩٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٥٢٦، ١٦٤٤)، و«صحيح ابن حبان» (١٧٥٥).

(١٣) أي: يقطر.

(١٤) ينظر: «مسند أحمد» (٧٢٣٨، ٧٨٠٤، ٨٤٦٦)، و«صحيح البخاري» (٩٣٩)، و«صحيح مسلم» (٦٠٥)، و«سنن أبي داود» (٢٣٥)، و«سنن النسائي» (٧٩٢، ٨٠٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٢٨)، و«صحيح ابن حبان» (٢٢٣٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٩٨).

الصفوف من تمام الصلاة»(١٥).

ثم يكبِّر تكبيرة الإحرام، فيسكت إسكاتة بقدر ما يقول: «**اللهمَّ باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهمَّ نقِّني من خطاياي، كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللهمَّ اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد»**(١٦).

ثم يجهر بالفاتحة، فيقرأ قراءة مفصَّلة مترسِّلة، يُقَطِّع قراءته آيةً آيةً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ثم يقف.. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. ثم يقف.. ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. وكانت قراءتُه مدًّا، يمدُّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ويمدُّ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾(١٧)، ويقرأُ قرآنَ

---

(١٥) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٠٩٤، ٢٢٢٢)، و«مسند أحمد» (١٢٠١١، ١٢٨١٣، ١٢٨٨٤، ١٣٦٦٤، ١٣٧٧٨، ١٤٠٩٦)، و«مسند الدارمي» (١٢٦٣)، و«صحيح البخاري» (٧١٩، ٧٢٣)، و«صحيح مسلم» (٤٣٣)، و«سنن أبي داود» (٦٦٨)، و«سنن ابن ماجه» (٩٩٣)، و«سنن النسائي» (٨١٤، ٨٤٥)، و«مسند أبي يعلى» (٢٩٩٧، ٣٠٥٥)، و«صحيح ابن حبان» (٢١٧٣، ٢١٧٤)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢١)، (٣/ ٩٩، ١٠٠).

(١٦) ينظر: «مسند أحمد» (٧١٦٤، ١٠٤٠٨)، و«مسند الدارمي» (١٢٤٤)، و«صحيح البخاري» (٧٤٤)، و«صحيح مسلم» (٥٩٨)، و«سنن أبي داود» (٧٨١)، و«سنن ابن ماجه» (٨٠٥)، و«سنن النسائي» (٦٠، ٨٩٥)، و«مسند أبي يعلى» (٦٠٨١، ٦٠٩٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤٦٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٨)، و«الدعاء» للطبراني (٥٢١)، و«سنن الدارقطني» (١/ ٣٣٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٩٥).

(١٧) ينظر: «فضائل القرآن» لأبي عُبيد (ص ١٥٦-١٥٧)، و«مسند أحمد» (٢٦٥٨٣)، و«سنن أبي داود» (٤٠٠١)، و«جامع الترمذي» (٢٩٢٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤٩٣)، و«شرح مشكل الآثار» (٥٤٠٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٢٧٨) (٦٠٣)، و«سنن الدارقطني» (١/ ٣٠١٢)، و«المستدرك» (٢/ ٢٣٢)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٤)، و«شعب الإيمان» (٢١١٥)، وما سيأتي في قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الليل.

الفجر، ويطيل القراءة، فيقرأ في صلاته ما بين الستين إلى مائة آية[١٨]، فإن كان يوم جمعة قرأ في الركعة الأولى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، وفي الركعة الثانية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١][١٩].

وربما قَنَتَ أحيانًا بعد الركوع من الركعة الثانية في النوازل تنـزل بالمسلمين، فيدعو ويستنزل الفرجَ والنصرَ[٢٠].

فإذا أتمَّ صلاته وسلَّم منها قال وهو في مكانه ووجهُه تِلْقاء القِبلة: «**أَسْتغفرُ اللهَ، أَستغفرُ اللهَ، أَسْتغفرُ اللهَ، اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنك السلامُ، تباركتَ يا ذا**

(١٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٩٦٢)، و«مسند أحمد» (١٩٧٩٣، ١٩٨١١)، و«صحيح البخاري» (٥٤١، ٥٩٩)، و«صحيح مسلم» (٤٦١، ٦٤٧)، و«سنن أبي داود» (٣٩٨)، و«سنن ابن ماجه» (٨١٨)، و«سنن النسائي» (٥٣٠)، و«مسند أبي يعلى» (٧٤٢٩)، و«مسند الروياني» (٧٧٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٥٢٨، ٥٣٠)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٣٦، ٤٥٠)، (٢/ ٣٨٩).

(١٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٧٩٩، ٢٩٠٦، ١٠١٠٢)، و«مسند الدارمي» (١٥٤٢)، و«صحيح البخاري» (٨٩١، ١٠٦٨)، و«صحيح مسلم» (٨٧٩، ٨٨٠)، و«سنن أبي داود» (١٠٧٤)، و«جامع الترمذي» (٥٢٠)، و«سنن ابن ماجه» (٨٢١)، و«سنن النسائي» (٩٥٦)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٠٠٨٥، ١٢٣٣٣)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٢٠١).

(٢٠) ينظر: «مسند أحمد» (٧٤٦٥، ٩١٤٩، ١٨٦٦١)، و«مسند الدارمي» (١٥٩٥)، و«صحيح البخاري» (٤٥٦٠، ٦٣٩٤)، و«صحيح مسلم» (٦٧٧، ٦٧٨)، و«جامع الترمذي» (٤٠١)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٠٩٨)، و«مسند أبي عوانة» (٢١٧٧-٢١٧٩)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٨٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١١٩٨٦، ١٢٣١١)، و«المستدرك» (١/ ٢٩٩)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٩٧)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٤/ ١٤٦) (١٨٦).

الجلال والإكرام»[٢١].

ثم ينصرف عن يمينه، وربما انصرف عن يساره، فأول ما يسمعُ منه أصحابُه إذا أقبل عليهم بوجهه قوله: «**ربِّ قِني عذابَكَ يومَ تبعثُ عبادَك**»[٢٢].

ثم يقول: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إيَّاه، له النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، لا إله إلا الله، مخلصين له الدينَ، ولو كره الكافرونَ، اللهمَّ لا مانع لما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ**[٢٣]

---

(٢١) ينظر: «مسند الطيالسي» (٣٧١، ١٦٦٢)، و«مسند أحمد» (٢٢٣٦٥، ٢٢٤٠٨، ٢٥٥٠٧)، و«مسند الدارمي» (١٣٤٧، ١٣٤٨)، و«صحيح مسلم» (٥٩١، ٥٩٢)، و«سنن أبي داود» (١٥١٢، ١٥١٣)، و«جامع الترمذي» (٢٩٨-٣٠٠)، و«سنن ابن ماجه» (٩٢٤، ٩٢٨)، و«سنن النسائي» (١٣٣٧، ١٣٣٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٧٣٦، ٧٣٧)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٠٠ - ٢٠٠٣)، و«الدعاء» للطبراني (٦٤٤-٦٥٠)، و«مسند الشاميين» (١٠٨٨)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٣)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١١٢).

(٢٢) ينظر: «مسند أحمد» (٣٦٣١، ٤٠٨٤، ٤٣٨٣)، و«مسند الدارمي» (١٣٥٠-١٣٥٢)، و«صحيح البخاري» (٨٥٢)، و«صحيح مسلم» (٧٠٧ - ٧٠٩)، و«سنن أبي داود» (١٠٤٢)، و«جامع الترمذي» (٣٠١)، و«سنن ابن ماجه» (٩٢٩-٩٣١)، و«سنن النسائي» (١٣٥٩-١٣٦١)، و«مسند الروياني» (٢٨٥، ٤١٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٥٦٣، ١٥٦٥، ١٧١٤)، و«مسند أبي عوانة» (٢٠٩٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٩٦-١٩٩٩)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٩٤)، و«شرح السنة» للبغوي (٧٠٤).

(٢٣) أي: لا ينفع ذا الغِنى عنك غناه، وإنما ينفعه الإيمان والطاعة.

منك الجَدُّ»[٢٤]. **ثم يسبِّح اللهَ، ويحمده، ويكبِّره**[٢٥].

(٢٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٨٨٩، ١٨١٥٨)، و«مسند الدارمي» (١٣٤٩)، و«صحيح البخاري» (٨٤٤)، و«صحيح مسلم» (٥٩٣)، و«سنن أبي داود» (١٥٠٥)، و«سنن النسائي» (١٣٤١-١٣٤٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٧٤٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٠٥-٢٠٠٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ٣٩١-٣٩٢) (٩٢٥-٩٢٨)، و«الدعاء» للطبراني (٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٢-٧٠٤)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٥)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١١٣).
وينظر أيضًا: «مسند أحمد» (١٦١٠٥)، و«صحيح مسلم» (٥٩٤)، و«سنن أبي داود» (١٥٠٦، ١٥٠٧)، و«سنن النسائي» (١٣٣٩، ١٣٣٤٠)، و«مسند أبي يعلى» (٦٨١١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٧٤٠، ٧٤١)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٠٨-٢٠١٠)، و«الدعاء» للطبراني (٦٨١)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٤)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١١٦).

(٢٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٦٠٠، ٢١٦٥٩)، و«صحيح البخاري» (٨٤٣، ٦٣٢٩)، و«صحيح مسلم» (٥٩٥-٥٩٧)، و«سنن أبي داود» (١٥٠٢)، و«جامع الترمذي» (٣٤١٣)، و«سنن النسائي» (١٣٤٨-١٣٥٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٧٥٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠١٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٨٩٨)، و«الدعاء» للطبراني (٧٣١)، و«المستدرك» (١/ ٢٥٣)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٦ - ١٨٧)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٣١، ٣٣٢).
وقد وردت عدة صور لهذا الذكر:
أ- أن يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» خمس وعشرون؛ فالمجموع مائة.
ب- أن يقول: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر» ثلاثًا وثلاثين، وتمام المائة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».
ج- أن يتمم المائة بقول: «الله أكبر».
د- أن يقول: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر» تسعًا وتسعين، ولا يكمل.
هـ- أن يقول من ذلك ثلاثًا وثلاثين: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»؛ إحدى عشر من كل واحدة.
و- أن يقول من كل واحدة عشرة. ينظر: «فقه العبادة» للشيخ سلمان العودة (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

ثم يذكره بجوامع الذِّكر، التي يستقبل بها صباح يومه، **ومنها:**

«أصبحنا وأصبحَ المُلكُ لله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، لهُ الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، ربِّ أسألُك خيرَ ما في هذا اليوم، وخيرَ ما بعدَه، وأعوذُ بك من شرِّ ما في هذا اليوم، وشرِّ ما بعدَه، ربِّ أعوذُ بك مِن الكَسَلِ، وسوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذُ بكَ مِن عَذابٍ في النَّارِ، وعذابٍ في القَبرِ».
وإذا أمسى قالها أيضًا: «**أمسينا وأمسى المُلكُ لله**»(٢٦).

«اللهمَّ إنِّي أسألُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرة، اللهمَّ أسألُك العفوَ والعافيةَ في ديني ودُنْيايَ، وأهلي ومالي، اللهمَّ استُرْ عَوْراتي، وآمِن رَوْعاتي، اللهمَّ احفَظْني من بين يدَيَّ ومن خَلْفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فَوْقي، وأَعوذُ بعَظَمتِكَ أَنْ أُغْتالَ من تَحْتي(٢٧)». ولم يكن يدعها حين يصبح وحين يُمسي(٢٨).

«اللهمَّ عافِنِي في بَدَني، اللهمَّ عافِنِي في سَمعي، اللهمَّ عافِنِي في بصَري، لا

---

(٢٦) ينظر: «مسند أحمد» (٤١٩٢)، و«صحيح مسلم» (٢٧٢٣)، و«سنن أبي داود» (٥٠٧١)، و«جامع الترمذي» (٣٣٩٠)، و«مسند أبي يعلى» (٥٠١٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٦٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١١٧٠)، و«الدعاء» للطبراني (٢٩٥)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٣٦، ٣٧)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٤).

(٢٧) يعني: الخسف.

(٢٨) ينظر: «مسند أحمد» (٤٧٨٥)، و«مسند عبد بن حميد» (٨٣٧)، و«الأدب المفرد» (١٢٠٠)، و«سنن أبي داود» (٥٠٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٧١)، و«صحيح ابن حبان» (٩٦١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٢٩٦)، و«الدعاء» للطبراني (٣٠٥)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٤٠)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٢)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢٧٦).

إلهَ إلا أنتَ، اللهمَّ إِني أعوذُ بك منَ الكفرِ والفقر، اللهمَّ إني أعُوذُ بك من عذاب القبر، لا إلهَ إلا أنتَ». يعيدها ثَلاثًا إذا أصبح وإذا أمسى[29].

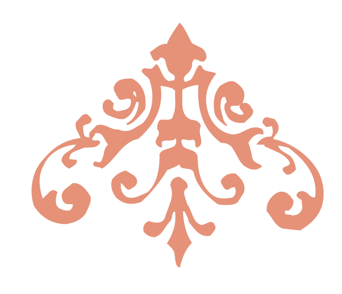
ويكثر الاستغفار، فيستغفر اللهَ كل غداة مائة مرة[30].

ويأتي في أثناء ذلك خدُم المدينة، بأيديهم الأقداح فيها الماء؛ يتبرَّكون بوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده المباركة في آنيتهم، فما يُؤتى بإناء إلا غمس فيه يده، وربما أتوا إليه في اليوم الشديد البرد، فيضع يده في آنيتهم[31].

(٢٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (٩٠٩)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٢٩١٨٤)، و«مسند أحمد» (٢٠٤٣٠)، و«الأدب المفرد» (٧٠١)، و«سنن أبي داود» (٥٠٩٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٩٨٥٠، ١٠٤٠٧)، و«الدعاء» للطبراني (٣٤٥)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٦٩)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٣).

(٣٠) ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٩٤٤٥، ٣٥٠٧٥)، و«مسند أحمد» (٥٣٥٤، ٩٨٠٧، ١٧٨٤٨، ١٨٢٩١- ١٨٢٩٤)، و«مسند عبد بن حميد» (٥٥٨)، و«مسند الدارمي» (٢٧٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٧٠٢)، و«سنن أبي داود» (١٥١٥)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨١٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٢٧٥)، و«مسند الروياني» (٤٦٠، ٥١٧)، و«صحيح ابن حبان» (٩٢٦، ٩٢٧)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣٧٣٧)، و«الدعاء» للطبراني (١٨٠٩-١٨٣٥)، و«المستدرك» (١/ ٥١٠)، (٢/ ٤٥٧)، و«أخبار أصبهان» (١/ ١٦٥)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٥٢).

(٣١) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٤٠١)، و«مسند عبد بن حميد» (١٢٧٤)، و«صحيح مسلم» (٢٣٢٤)، و«شعب الإيمان» (١٣٦١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٣٣١)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٦٧٧)، و«إتحاف المهرة» لابن حجر (٦٥٣).



الصباح النبوي

ثم تتقارب أطراف الصفوف، فيطيف أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به وهو جالس في مصلَّاه، مقبلٌ بوجهه إليهم، فيُسْفِرُ لهم ضوءُ الصباح عن ضياء وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فربما بدأهم بموعظة، كما في حديث العِرباض بن سَارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا بعد صلاة الفجر موعظةً بَلِيغةً، ذَرَفَتْ منها العيونُ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال رجلٌ: إن هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ؛ فماذا تعهدُ إلينا يا رسولَ الله؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ عبدٌ حبشيٌّ، فإنه مَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنها ضلالةٌ، فمَن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**»[٣٢].

(٣٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٧١٤٢، ١٧١٤٤، ١٧١٤٥)، و«مسند الدارمي» (٩٥)، و«سنن أبي داود» (٤٦٠٧)، و«جامع الترمذي» (٢٦٧٦)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢-٤٤)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٣٣، ٢٥٤)، و«السنة» للمروزي (٦٩-٧٢)، و«صحيح ابن حبان» (٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٨/ ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧) (٦١٧-٦٢٤، ٦٤٢)، و«المعجم

ولم يكن النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يكثر عليهم هذه العِظات، وإنما كان يتخوَّلهم بها ويتعاهدهم من غير إملال[٣٣].

وقد يتحدَّث إليهم، كما صلَّى مرة الصبحَ، ثم أقبل على الناس، فقال: «**بينما رجلٌ يسوقُ بقرةً له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أُخْلَقْ لهذا، ولكني إنما خُلقت للحرث؟!**». فقال الناسُ: سبحان الله –تعجُّبًا وفزعًا–: أبقرةٌ تكلَّمُ؟! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإني أُومِنُ به وأبو بكر وعمر**».

ثم قال: «**بينا راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئبُ فقال له: مَن لها يوم السَّبُعِ، يوم ليس لها راعٍ غيري؟!**». فقال الناسُ: سبحان الله. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإني أُومِنُ به أنا وأبو بكر وعمر**»[٣٤]. ولم يكن أبو بكر وعمر حاضرين

الأوسط» (٦٦)، و«مسند الشاميين» (٤٣٧، ٦٩٧، ١٣٧٩)، و«المستدرك» (١/ ٩٥–٩٧)، و«سنن البيهقي» (١٠/ ١١٤)، و«شعب الإيمان» (٧١٠٩، ٧١١٠، ٧٥١٥، ٧٥١٦)، و«الترغيب والترهيب» لِقوَام السنة (٣٤٢، ٤٨٥).

(٣٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٥٣)، و«مسند أحمد» (٣٥٨١، ٣٥٨٧، ٤٠٤١)، و«صحيح البخاري» (٦٨، ٦٤١١)، و«صحيح مسلم» (٢٨٢١)، و«جامع الترمذي» (٢٨٥٥)، و«مسند أبي يعلى» (٥٠٣٢)، و«صحيح ابن حبان» (٤٥٢٤)، و«مكارم الأخلاق» للخرائطي (٢٧٣، ٢٧٤)، و«الفقيه والمتفقه» للخطيب (٩٣٣)، و«شرح السنة» للبغوي (١٤٥).

(٣٤) ينظر: «مسند الحميدي» (١٠٥٤)، و«مسند أحمد» (٧٣٥١، ١٠٥٢٩)، و«صحيح البخاري» (٣٤٧١، ٣٦٦٣)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١١١–٨١١٤)، و«صحيح ابن حبان» (٦٤٨٥، ٦٩٠٣)، و«الإيمان» لابن منده (٢٥٦، ٢٥٧)، و«فنون العجائب» لأبي سعيد النقاش (١–١٣)، و«كرامات الأولياء» للالكائي

حينها، ولكن شهد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بإيمانهما؛ ليقينه منه، رضي الله عنهما.

وربما أقبل عليهم إذا اجتمعوا حوله فقال لهم: «**هل فيكم مريضٌ نعودُه؟**». فإن قالوا: لا. قال:«**هل فيكم جنازة نشهدها؟**». فإن قالوا: لا. قال: «**مَن رأى منكم رؤيا، فليَقُصَّها عليَّ أَعْبُرْها؟**». فيقصُّون عليه رُؤاهم، فيَعْبُرُها لهم، أو يقول لهم ما شاء الله أن يقول(٣٥).

ومن ذلك حديث عبد الله بن سلَام رضي الله عنه قال: رأيتُ رؤيا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رأيتُ كأنِّي في رَوْضَة -ذكر من سَعَتِها وخُضْرَتِها- وسْطَها عمودٌ من حديد، أسفلُهُ في الأرض، وأعلاهُ في السماء، في أعلاه عُروةٌ، فقيل لي: ارْقَ. قلتُ: لا أستطيعُ. فأتاني مِنْصَفٌ(٣٦) فرفع ثيابي من خلفي، فرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ بالعُروة، فقيل له: اسْتَمْسك. فاستيقظتُ وإنها لفي يدي، فقصصتُها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال: «**تلك الروضةُ: الإسلامُ، وذلك العمودُ: عمودُ الإسلام، وتلك العُروة: عُروةُ الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموتَ**»(٣٧).

وقال مرَّة لأصحابه رضي الله عنهم: «**مَن رأى منكم رؤيا فليَقُصَّها؛ أَعْبُرْها**

(٣٦)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٨٨٩).

(٣٥)

(٣٦) أي: خادم.

(٣٧) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٧٨٧)، و«صحيح البخاري» (٣٨١٣، ٧٠١٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤٨٤)، و«المستدرك» (٤/ ٣٩٤)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٢٨٩)، و«تاريخ دمشق» (٢٩/ ٢٢٢).

له». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، إني أرى الليلة في المنام ظُلَّةً تَنْطُفُ السمنَ والعسلَ، فأَرَى الناسَ يتكَفَّفونَ منها بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وأَرَى سَبَبًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأَرَاك أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذَ به رجلٌ من بعدك فعَلَا، ثم أخذَ به رجلٌ آخرُ فعَلَا، ثم أخذَ به رجلٌ آخرُ فانقطع به، ثم وُصِل له فعَلَا.

قال أبو بكر: يا رسولَ الله، بأبي أنت، والله لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّها. قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اعْبُرْهَا**». قال أبو بكر: أما الظُّلَّةُ، فظُلَّةُ الإسلام، وأما الذي يَنْطُفُ من السمن والعسل، فالقرآن، حلاوتُه ولينُه، وأما ما يَتَكَفَّفُ الناسُ من ذلك، فالمستكثِرُ من القرآن والمستَقِلُّ، وأما السَّبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحقُّ الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعْليكَ اللهُ به، ثم يأخذُ به رجلٌ من بعدك، فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرُ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرُ فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسولَ الله بأبي أنت، أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا**». قال: فوالله يا رسولَ الله، لتُحَدِّثَنِّي ما الذي أخطأتُ؟ قال: «**لا تُقسمْ**»(٣٨).

ويلاحظ أن رُؤى الصحابة رضي الله عنهم التي كانوا يقصُّونها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفيضُ بهمِّهم الأكبر وقضيتهم الأولى، وهو دينهم ونبيهم، فهم يعيشونه جهدًا وجهادًا في يقظتهم، ورؤًى في منامهم، فيا لله! أي

(٣٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢١١٣)، و«صحيح البخاري» (٧٠٤٦)، و«صحيح مسلم» (٢٢٦٩)، و«سنن أبي داود» (٣٢٦٨، ٤٦٣٢)، و«جامع الترمذي» (٢٢٩٣، ٢٢٩٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩١٨)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١١٤٣)، و«المستدرك» (٣/ ٧١)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٧، ١٨٨)، (١٠/ ٣٨، ٣٩)، و«شعب الإيمان» (١٨٢٦).

نفوس تلك التي كانت تَطِيفُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيمتد همُّها به من يقظتها إلى منامها وأحلامها!

وربما حدَّثهم صلى الله عليه وآله وسلم برؤيا رآها هو، فيقصُّها عليهم ويَعْبُرُها لهم رضي الله عنهم؛ كما في حديث سمرة رضي الله عنه قال: سَأَلَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا، فقال: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**». قلنا: لا. قال: «**لكنِّي رأيتُ الليلةَ رجلين آتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدَّسة...**». ثم ذكر حديث الرُّؤيا الطويل، وفيه ذكر بعض أحوال المعذَّبينَ، وما يعذَّبونَ عليه، وذكر بعض أحوال الآخرة[٣٩].

ويتحدَّث الصحابةُ في هذا المجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيشاركهم الحديثَ والاستماع، فربما تحدَّثوا عن حياتهم في الجاهلية، وما كانوا يقعون فيه من أُحْمُوقات الجهل التي تَبَدَّى لهم عَوَارُها بعد أَنْ مَنَّ اللهُ عليهم بالإسلام، فإذا ذكروها ضحكوا من جهلهم في الجاهلية، ويتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي كان ضحكه تبسُّمًا، ولا يزال صلى الله عليه وآله وسلم في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء[٤٠].

---

(٣٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٠١٦٥)، و«صحيح البخاري» (١٣٨٦)، و«صحيح مسلم» (٢٢٧٥)، و«جامع الترمذي» (٢٢٩٤)، و«صحيح ابن حبان» (٤٦٥٩)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٢٧٥)، و«إثبات عذاب القبر» للبيهقي (٩٧)، و«شرح السنة» للبغوي (٢٠٥٣).

(٤٠) ينظر: «مسند ابن الجعد» (٢٠٦٨، ٢٦٦١)، و«مسند أحمد» (٢٠٨٤٤)، و«صحيح مسلم» (٦٧٠، ٢٣٢٢)، و«سنن النسائي» (١٣٥٨)، و«مسند أبي عوانة» (١٣١٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٢٥٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩٣٣، ١٩٩٩، ٢٠١٧)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٥٢)، (١٠/ ٢٤٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٣٢٣).

ثم يقوم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حُجر نسائه، فإذا دخل البيتَ قال: «**اللهمَّ إني أسألُكَ خيرَ المَوْلَجِ، وخيرَ المَخْرَجِ، بسم الله وَلَجْنا، وبسم الله خَرَجْنا، وعلى الله ربِّنا توكَّلنا**»(٤١).

وأول شيء يبدأ به إذا دخل بيته السِّواك، يطيِّب به فمه المطيَّب، ويسلِّم على أهله قائلًا: «**السلامُ عليكم، كيف أنتم يا أهلَ البيت؟**».

ويطوف على نسائه، يدخل على كل واحدة في حُجرتها، يسلِّم عليهنَّ ويدعو لهنَّ، ولا يطيل المُكث(٤٢).

فربما دخل على إحداهن وهي في مصلَّاها وخرج وهي على حالها، كما دخل على جُوَيْرِيةَ رضي الله عنها وهي في مصلَّاها تذكر الله، وخرج وهي على حالها من الذكر(٤٣).

---

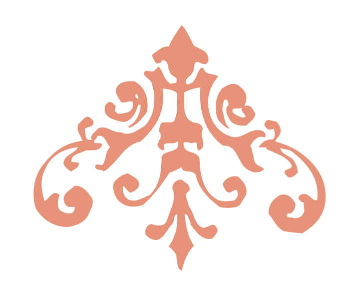
(٤١)

(٤٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٣٠٢٥، ١٣٥٧٥، ٢٤١٤٤، ٢٤٧٩٥)، و«صحيح البخاري» (٤٧٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٣، ١٤٢٨)، و«سنن أبي داود» (٥١)، و«سنن النسائي» (٨)، و«مسند أبي يعلى» (٣٣٣٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٣٤)، و«مسند أبي عوانة» (٤٧٧، ٤١٨٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٧٤)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٤)، (٧/ ٥٦، ٣٠٠).

(٤٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٣٤، ٣٣٠٨، ٢٦٧٥٨)، و«الأدب المفرد» (٦٤٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٢٦)، و«سنن أبي داود» (١٥٠٣)، و«جامع الترمذي» (٣٥٥٥)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٠٨)، و«العرش» لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (٤)، و«سنن النسائي» (١٣٥٢)، و«الآحاد والمثاني» (٣١٠٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٧٥٣)، و«التوحيد» لابن خزيمة (٥، ٢٣٣)، و«صحيح ابن حبان» (٨٢٨، ٨٣٢)، و«الدعاء» للطبراني (١٧٤١)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٢٩٧)، و«شعب الإيمان» (٥٩٦)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١٢٧).

وربما سألَ عن الطعام، فقال: «**هل عندكم شيء؟**». فإن كان ثمةَ طعام قُرِّب إليه، وغالبًا ما يكون طعامًا خفيفًا، كالتمر والحَيْس والأَقِط، أو شرابًا، كاللبن أو النَّبيذ، ونحو ذلك، وربما سأل فيقولون: يا رسولَ الله، ما عندنا شيء. فيقول: «**فإني إذًا صائم**»(٤٤).

(٤٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٢٢٠، ٢٥٧٣١، ٢٧٣٠١)، و«صحيح البخاري» (١٤٩٤)، و«صحيح مسلم» (١٠٧٦، ١١٥٤)، و«سنن أبي داود» (٢٤٥٥)، و«جامع الترمذي» (٧٣٣، ٧٣٤)، و«سنن ابن ماجه» (١٧٠١)، و«سنن النسائي» (٢٣٢٢-٢٣٣٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢١٤١، ٢١٤٣)، و«صحيح ابن حبان» (٣٦٣٠)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٢٠٣، ٢٧٤)، وما سيأتي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم عند عَشائه.



المجلس النبوي

فإذا أتم صلى الله عليه وآله وسلم طوافَه على نسائه عاد إلى المسجد، فإذا دخله صلَّى تحية المسجد عند سارية تسمَّى: سارية المهاجرين، وهي متوسطة في الروضة الشريفة، وكان يتحرَّى الصلاة عندها(٤٥).

ثم يجلس شرقي المسجد في الروضة الشريفة، مستندًا إلى حُجرة عائشة رضي الله عنها، ويجتمع إليه أصحابه، وكان هذا اللقاء معهودًا، بحيث إن مَن أراد النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الوقت، فإنه يأتي إليه في المسجد، وقد يقلُّ الصحابةُ حولَه أو يكثرون، بحسب فراغهم وظروف حيواتهم، فإن كانوا قليلًا تحلَّقوا حوله، وإن كانوا كثيرًا جلسوا سِمَاطَيْن عن جَنْبَتَيْهِ(٤٦)، حتى يصل إليه الوافد، ويدنو منه السائل(٤٧).

(٤٥) ينظر: «الطبقات» لابن سعد (٤/ ٣٠٧)، و«مسند أحمد» (١٦٥١٦، ١٦٥٤٢)، و«صحيح البخاري» (٥٠٢)، و«صحيح مسلم» (٥٠٩)، و«سنن ابن ماجه» (١٤٣٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٧٦٣، ٢١٥٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٢٩٩)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٧١)، (٥/ ٢٤٧).

(٤٦) أي: صفين على يمينه ويساره.

(٤٧) ينظر: «سنن أبي داود» (٤٦٩٨)، وما سيأتي في جلوسه صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه.

فإذا جلس إلى أصحابه تحدَّث إليهم، وكان أفصح خلق الله كلامًا، وأعذبهم حديثًا، وأبينهم أداءً، ليس كلامه هذًّا مسرعًا، ولا بطيئًا متقطِّعًا، وإنما هو فَصْلٌ بَيِّنٌ، لو شاء العادُّ أن يَعُدَّه لأحصاه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَسْرِدُ الحديثَ كسردكم هذا، ولكن كان يتكلَّم بكلام بَيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه مَن جلس إليه»(٤٨).

وغالبًا ما يأخذ حديثه طابع الحوار المبدوء بالتساؤل: فربما ابتدأهم بالسؤال ليسألوه، كقوله: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**». قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور**»(٤٩).

وربما سألهم ليلفت أبصارهم إلى معنى أعظم من المتبادر لهم، كقوله: «**أتدرون مَنِ المُفْلِسُ؟**». قالوا: المُفلسُ فينا مَن لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إنَّ المُفْلِسَ من أمتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذف هذا، وأكلَ مال هذا، وسفكَ دم هذا، وضَرَب هذا؛ فيُعطى هذا من**

(٤٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٨٦٥، ٢٥٢٤٠)، و«صحيح البخاري» (٣٥٦٨)، و«صحيح مسلم» (٢٤٩٣)، و«سنن أبي داود» (٣٦٥٤، ٣٦٥٥، ٤٨٣٩)، و«جامع الترمذي» (٣٦٣٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٢٤٥)، و«مسند أبي يعلى» (٤٣٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٠، ٧١٥٣)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٢٠٧)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١٠٠٢).

(٤٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٣٣٦، ٢٠٣٩٤)، و«صحيح البخاري» (٢٦٥٤، ٥٩٧٦)، و«الأدب المفرد» (١٥/ ٣٠)، و«صحيح مسلم» (٨٧)، و«جامع الترمذي» (١٩٠١، ٢٣٠١، ٣٠١٩)، و«مسند الروياني» (٨٦)، و«مسند أبي عوانة» (١٤٦)، و«الإيمان» لابن منده (٤٧٠-٤٧٥)، و«سنن البيهقي» (١٠/ ١٢١، ١٥٦)، و«شعب الإيمان» (٢٨٠، ٧٤٨٢، ٧٨٦٦).

حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرِح في النار»(٥٠).

وربما استثار أذهانهم بالسؤال ليُجيبوه، كما بدأهم مرة بالسؤال، وقد أُتي إليه بجُمَّار نَخْل، فقال: «**أخبروني بشجرة تشبه الرجل المسلم، لا يَتَحَاتُّ ورقُها، تُؤْتِي أُكُلها كل حين؟**». فوقعوا في شجر البَوادي، يَعُدُّونها عليه، وهو يقول في كلٍّ: «**لا.. لا**». ووقع في نفس عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما -وكان عاشر عشرة هو أصغرهم سنًّا- أنها النخلة، فنظر، فإذا في المجلس أبو بكر وعمر، فاستحيا أن يقولها، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**هي النخلة**»(٥١).

وكان يكرِّر بعض كلامه ثلاثًا؛ ليُعْقَل عنه أو ليبيِّن أهميته، وربما زاد مبالغة في الاهتمام، كقوله وهو يذكر الكبائرَ: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فما زال يكرِّرها، حتى قالوا: ليته سكت(٥٢).

---

(٥٠) ينظر: «مسند أحمد» (٨٠٢٩، ٨٤١٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨١)، و«جامع الترمذي» (٢٤١٨)، و«مسند أبي يعلى» (٦٤٩١)، و«صحيح ابن حبان» (٤٤١١، ٧٣٥٩)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (٤٠)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٩٣)، و«شعب الإيمان» (٣٣٨).

(٥١) ينظر: «مسند أحمد» (٤٥٩٩، ٦٤٦٨)، و«مسند الدارمي» (٢٨٢)، و«صحيح البخاري» (٦١، ٢٢٠٩، ٥٤٤٤)، و«صحيح مسلم» (٢٨١١)، و«جامع الترمذي» (٢٨٦٧)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٤-٢٤٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٥٢١)، و«أمثال الحديث» للرامهرمزي (٣٣)، و«الأمثال» لأبي الشيخ (٣٥٥)، و«شعب الإيمان» (٥٨٨٩).

(٥٢) تقدم (ص ؟؟).



وربما بدأهم بسؤال مفاجئ لينتهي بهم إلى نتيجة مفاجئة، كما بدأهم قائلًا: «**مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟**». ففجئهم السؤال؛ إذ لم يستعدوا له، ولو عرفوا أنه سيسألهم لصاموا كلهم، فسكتوا جميعًا، وأجاب أبو بكر قائلًا: أنا يا رسولَ الله. فقال: «**مَن عاد منكم اليوم مريضًا؟**». فسكتوا، وأجاب أبو بكر قائلًا: أنا يا رسولَ الله. فقال: «**مَن تَبِعَ منكم اليوم جنازةً؟**». فسكتوا، وقال أبو بكر: أنا يا رسولَ الله. فقال: «**مَن أطعمَ منكم اليوم مسكينًا؟**». فسكتوا، وقال أبو بكر: أنا يا رسولَ الله. فقال: «**ما اجتمعت هذه الأربع في امرئ في يوم إلا دخل الجنة**»[٥٣].

وربما استخدم وسيلة الإيضاح وهو يتحدَّث، كما حدَّث مرة عن رفع الأمانة، فقال: «**ينام الرجلُ النومةَ، فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيبقى أَثَرُها مثل الوَكْتِ**[٥٤]**، ثم ينام النومةَ، فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظل أثرُها مثل المَجْلِ**[٥٥]**، كجَمْرٍ دَحْرَجتَه على رِجْلِك فنَفِطَ، فتَرَاه مُنْتَبِرًا**[٥٦] **وليس فيه شيء**[٥٧]». ثم أخذ

---

(٥٣) ينظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٦٦٠٠)، و«الأدب المفرد» (٥١٥)، و«صحيح مسلم» (١٠٢٨)، و«مسند البزار» (٩٧٥٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١٠٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢١٣١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١١٣٠٠)، و«المعجم الأوسط» (٣٦٤٠)، و«شعب الإيمان» (٨٧٦٤)، و«غوامض الأسماء المبهمة» للخطيب (٢/ ٥٦٣- ٥٦٥).

(٥٤) الوكت: سواد في اللون يسير من أثر النار ونحوها.

(٥٥) المجل: أثر العمل في الكف، وهو أثر دائم لا يكاد يزول.

(٥٦) المنتبر: الوَرِم المملوء ماءً.

(٥٧)

حصاة فدَحْرَجها على قدمه[٥٨].

وربما استعان بالرسم التوضيحي، كما خطَّ على الأرض خطًّا مربعًا، وخطَّ خطًّا في الوَسَط خارجًا منه، وخط خُططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوَسَط من جانبه الذي في الوَسَط، ثم قال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه مُحيطٌ به، وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، يَتَعَاطَى الأملَ، والأجلُ يَخْتَلِجُه دون ذلك، وهذه الخُطَطُ الصِّغارُ الأعراضُ**[٥٩]، **فإن أخطأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإن أخطأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا**»[٦٠].

لقد كان هذا المجلس مجلس علم ووعظ، ولكن لم تكن المواعظ ولا التعليم تتم بأسلوب إلقائي أحادي الاتجاه، وإنما بأسلوب حِواري يعتمد إشراك المتعلِّم في عملية التعليم، ويعتمد الحوار الذي يتيح النمو العقلي والفكري للمتعلِّم.

ومما كان يُعمِّر هذا المجلس الاستغفار الكثير؛ فقد كان الصحابة يلحظون عدم فتور النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الاستغفار والتوبة، وربما عدُّوا له

(٥٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٤٢٥)، و«مسند أحمد» (٢٣٢٥٥)، و«صحيح البخاري» (٦٤٩٧، ٧٠٨٦)، و«صحيح مسلم» (١٤٣)، و«جامع الترمذي» (٢١٧٩)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٥٣)، و«مسند أبي عوانة» (١٤١)، و«الإيمان» لابن منده (٣٣٦-٣٣٨)، و«شعب الإيمان» (٤٨٩٠).

(٥٩)

(٦٠) ينظر: «مسند ابن أبي شيبة» (٢٩٣)، و«مسند أحمد» (٣٦٥٢)، و«مسند الدارمي» (٢٧٢٩)، و«صحيح البخاري» (٦٤١٧)، و«جامع الترمذي» (٢٤٥٤)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٣١)، و«قِصَر الأمل» لابن أبي الدنيا (١٣)، و«مسند أبي يعلى» (٥٢٤٣)، و«الأمثال» للرامهرمزي (٧٣)، و«مسند الشاشي» (٧٩٩)، و«الترغيب والترهيب» لقِوَام السنة (١٧٣)، و«شعب الإيمان» (١٠٢٥٦).

في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «**ربِّ اغفرْ لي وتُبْ عليَّ، إنك أنت التَّوَّاب الغفور**»(٦١).

وفي مجلسه يُؤْتَى بصبيان المدينة، فيدعو لهم، ويحنِّكهم(٦٢)، ويُبرِّك عليهم(٦٣).

ومن ذلك: أن أبا أُسيد رضي الله عنه أَتَى بابنه المُنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وُلد، فوضعه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على فَخِذه، وأبو أُسيد جالس، فلَهِي(٦٤) النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بشيء بين يديه، فأَمَرَ أبو أُسيد بابنه فاحتُمل من على فَخِذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأَقْلَبوه(٦٥)، فاستفاقَ(٦٦) رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**أين الصبيُّ؟**». فقال أبو أُسيد: أَقْلبناه يا رسولَ الله. فقال: «**ما اسمه؟**». قال: فلانٌ يا

(٦١) ينظر: «مسند أحمد» (٤٧٢٦)، و«مسند عبد بن حميد» (٧٨٦)، و«الأدب المفرد» (٦١٨)، و«سنن أبي داود» (١٥١٦)، و«جامع الترمذي» (٣٤٣٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨١٤)، و«مسند البزار» (٥٩٠٦)، و«صحيح ابن حبان» (٩٢٧)، و«شعب الإيمان» (٦٣٢)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١٤٤)، و«القضاء والقدر» للبيهقي (٣٢٠)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢٨٩).

(٦٢)

(٦٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٧٩٥، ١٩٥٧٠، ٢٦٩٣٨)، و«صحيح البخاري» (٣٩٠٩، ٥٤٦٧، ٥٤٧٠)، و«صحيح مسلم» (٢١٤٤-٢١٤٦)، و«الآحاد والمثاني» (٥٧٥)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٢٠٤)، و«شعب الإيمان» (٨٢٦٣، ٨٢٦٤، ٨٦٢١).

(٦٤)

(٦٥)

(٦٦)

رسولَ الله. قال: «**لا، ولكن أَسْمِهِ: المنذرَ**». فسمَّاه يومئذ: المنذرَ(٦٧).

ويُؤتى في مجلسه ببَواكير ثمار النَّخِيل؛ حيث كان التمر فاكهة أهل المدينة وقوتهم وغذاءهم، فكانوا يفرحون إذا رَأَوْا أول الثمرة، ويأتون به إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا أخذه قال: «**اللهمَّ بارك لنا في ثَمَرِنا، وبارك لنا في مَدِينتنا، وبارك لنا في صاعِنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ عبدُك وخليلُك ونبيُّك، وإني عبدُك ونبيُّك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه**». ثم يدعو أصغرَ مَن يحضره من الولدان، فيعطيه ذلك الثمر(٦٨).

وكان في هذا المجلس فسحة للطُّرْفَة والمُزاح الجميل، ولم يكن وَقار المجلس النبوي ولا مَهابة محيَّاه صلى الله عليه وآله وسلم مما يحجز أصحابه عن عفوية الحياة، فها هو صلى الله عليه وآله وسلم يحدِّث أصحابه، وعنده رجلٌ من أهل البادية فيقول: «**إن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزَّرْع، فقال الله له: ألستَ**

(٦٧) ينظر: «مسند ابن الجعد» (٢٩٣٦)، و«صحيح البخاري» (٦١٩١)، و«الأدب المفرد» (٨١٦)، و«صحيح مسلم» (٢١٤٩)، و«مسند الروياني» (١٠٣٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٧٩٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦١٠٢)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٣٧٦).

(٦٨) ينظر: «الموطأ» (١٥٦٨)، و«مسند الدارمي» (٢٠٧٢)، و«الأدب المفرد» (٣٦٢)، و«صحيح مسلم» (١٣٧٣)، و«جامع الترمذي» (٣٤٥٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٣٢٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠١٣٤)، و«فضائل المدينة» لأبي سعيد المفضَّل بن إبراهيم الجَنَدي (٣، ٤)، و«مسند أبي عوانة» (٣٧٤٠)، و«شرح مشكل الآثار» (١٢٥١)، و«صحيح ابن حبان» (٣٧٤٧)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٢٧٨)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٥١٢)، و«شرح السنة» (٢٠١٢).

فيما شئتَ؟! فقال: بَلَى يا ربِّ، ولكني أُحِبُّ أن أَزْرَعَ. قال: فبَذَرَ، فبَادَرَ الطَّرْفَ نَباتُه واستِواؤُهُ واسْتِحْصَادُهُ[٦٩]**، فكان أمثالَ الجبال، فيقول الله: دُونَكَ يا ابن آدمَ؛ فإنه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ!**». فلما فرغ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من حديثه قال الأعرابي: يا رسولَ الله، والله لا تجده إلا مهاجريًّا أو أنصاريًّا؛ فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك مَن في المجلس، وضحك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم[٧٠].

ويبدو أن هذا المجلس هو مجلس استقبال القادمين من الوفود؛ فإن المسافرين عادة يبيتون خارج المدينة، ثم يدخلونها ضحًى، فيَلْقَون النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المجلس.

ومن ذلك: وفد المُضَرِيِّين، وقد أتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صَدْرِ النهار، فرأى ما بهم من الفقر والفاقة، فتَمَعَّر وجهُه ألَمًا لحالهم[٧١]، ثم خطبَ الناسَ، وحثَّ على الصدقة، حتى اجتمع عنده كَوْمان من طعام وثياب[٧٢].

---

(٦٩)

(٧٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٠٦٤٢)، و«صحيح البخاري» (٢٣٤٨، ٧٥١٩)، و«مسند البزار» (٨٧٥٩)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٧٢٧٢)، و«العظمة» لأبي الشيخ (٥٩١)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٩٩)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٣٨٢).

(٧١)

(٧٢) ينظر: «مسند الطيالسي» (٧٠٥)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٩٨٠٣)، و«مسند أحمد» (١٩١٧٤)، و«صحيح مسلم» (١٠١٧)، و«الأموال» لابن زنجويه (١٩٥٩)، و«جامع الترمذي» (٢٦٧٥)، و«سنن ابن ماجه» (٢٠٣)، و«سنن النسائي» (٢٥٥٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣٧٢)، و«المعجم الأوسط» (٤٣٨٦)، و«سنن البيهقي» (٤/ ١٧٥)، و«شعب الإيمان» (٣٠٤٨).

ويغلب على الظن أنه المجلس الذي أتى فيه جبرائيلُ عليه السلام في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحدٌ، فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة(٧٣).

وأنه المجلس الذي أتى فيه ضِمامُ بن ثَعْلبة أخو بني سعد بن بكر رضي الله عنه، فأناخ جمله في المسجد، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ابنَ عبد المطلب؟ قال: «**قد أجبتك**». قال: إني سائلُك، فمشدِّد عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك. قال: «**سَلْ عَمَّا بدا لك**». فسأله عن أركان الإسلام، ثم قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن ولا أنقص. فلما ولَّى. قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَقِهَ الرجلُ، لئن صدق ليدخلنَّ الجنة**»(٧٤).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتناوبون الحضور في هذا المجلس النبوي، كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في عوالي المدينة، وكنا نتناوبُ النـزولَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل

(٧٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٤، ٩٥٠١)، و«صحيح البخاري» (٥٠، ٤٧٧٧)، و«صحيح مسلم» (٨-١٠).

(٧٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٤٤٩)، و«مسند أحمد» (٢٢٥٤، ٢٣٨٠، ٢٢٧١٩)، و«صحيح البخاري» (٦٣)، و«سنن أبي داود» (٤٨٦)، و«سنن ابن ماجه» (١٤٠٢)، و«سنن النسائي» (٢٠٩٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٤)، و«المبهمات» للخطيب (١/ ٥٥-٥٨)، و«المفهم» للقرطبي (١/ ١٥٧، ١٦٢)، و«الإصابة» لابن حجر (٣/ ٤٨٦-٤٨٧)، و«فتح الباري» (١/ ١٠٦، ١٥٠)، وما سيأتي في ....؟؟

فعل مثل ذلك[٧٥].

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس في هذا المجلس مع أصحابه كأحدهم، ليس له شَارة تميِّزه عنهم، فيجيء الغريبُ فلا يعرفه من بينهم، وربما سأل: أيكم ابنُ عبد المطلب؟ فلا يجدون ما يميِّزون به رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا بهاؤه، فيقولون: هو هذا الأبيض المتكئ. فلما رأى الصحابة ذلك، أشاروا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعملوا له دَكَّةً من الطين؛ حتى يعرفه القادم، فأذن لهم، وكان ذلك في آخر حياته، عام الوفود، سنة تسع[٧٦].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يُقَسِّم بِشْرَه وإقباله في مجلسه بين أصحابه، حتى يتفرَّقوا عنه، وكلٌّ يظن أنه أكثرهم حُظْوَة عنده[٧٧].

وربما أُهدي للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم طعامٌ وهو مع أصحابه، فيأكلون جميعًا، قال سَمرة بن جُندب رضي الله عنه: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أُتي بقصعة فيها ثَرِيدٌ، قال: فأكل، وأكل القومُ، فلم يزل القومُ يتداولونها إلى قريب من الظهر؛ يأكل كل قوم ثم يقومون، ويجيء قوم فيتعاقبونه. فقال له رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا

(٧٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٢)، و«صحيح البخاري» (٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٩)، و«جامع الترمذي» (٣٣١٨)، و«صحيح ابن حبان» (٤١٨٧).

(٧٦) ينظر: «خلق أفعال العباد» للبخاري (٢٥)، و«سنن أبي داود» (٤٦٩٨)، و«مسند البزار» (٤٠٢٥)، و«سنن النسائي» (٤٩٩١)، و«تعظيم قدر الصلاة» (٣٧٨)، و«فتح الباري» (١/ ١١٦)، وما تقدم في قدوم ضِمام بن ثَعْلَبة رضي الله عنه.

(٧٧)

أن تكون كانت تُمَدُّ من السماء[٧٨].

وأُهدي له صلى الله عليه وآله وسلم شاةٌ، والطعام يومئذ قليل، فقال لأهله: «**أَصْلِحوا هذه الشاة، وانظروا إلى هذا الخبز، فاثْرِدوا واغرفوا عليه**». وكانت له صلى الله عليه وآله وسلم قَصْعَةٌ يقال لها: الغَرَّاءُ يحملها أربعة رجال، فلما أصبحوا وسجدوا الضحى، أُتي بتلك القصعة، فالتفُّوا عليها، فلما كثروا جَثَا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أعرابي: ما هذه الجِلْسَة؟ قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا، كلُوا من جوانبها، ودَعُوا ذِرْوَتَهَا، يُبَارَكْ فيها**». ثم قال: «**خذوا وكلوا، فوالَّذي نفسُ محمدٍ بيده، لتُفْتَحَنَّ عليكم فارسُ والرومُ، حتى يكثرَ الطعامُ، فلا يُذكرَ عليه اسم الله عز وجل**»[٧٩].

ويطول هذا المجلس النبوي ويقصُر، بحسب الحال، وما يكون فيه من شأن، حتى إذا تعالَى النهارُ قام صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يقوم من مجلسه إلا قال: «**سبحانك اللهمَّ ربي وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ**

(٧٨) ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٣١٧٠٨)، و«مسند أحمد» (٢٠١٣٥، ٢٠١٩٦)، و«مسند الدارمي» (٥٦)، و«جامع الترمذي» (٣٦٢٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦٧٤٠)، و«دلائل النبوة» للفريابي (١٤، ١٥، ٤٦)، و«مسند الروياني» (٨٥٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٩٦٧)، و«المستدرك» (٢/ ٦١٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٩٣).

(٧٩) ينظر: «سنن أبي داود» (٣٧٧٣)، و«سنن ابن ماجه» (٣٢٦٣، ٣٢٧٥)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٥٧٨، ٥٧٩)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٨٣)، و«الآداب للبيهقي» (٤٤٠)، و«دلائل النبوة» (٦/ ٣٣٤)، و«شعب الإيمان» (٥٤٦١، ٥٨٤٧)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ٤٠٣-٤٠٤) (٧٣، ٧٤)، و«تاريخ دمشق» (١/ ٣٩٤)، (٢٧/ ١٤١).

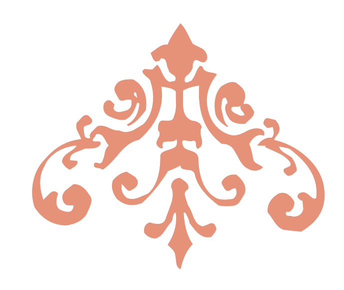
إليك»[٨٠].

وقلَّما يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما تَحُولُ به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغُنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائبَ الدنيا، اللهمَّ متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارثَ منا، واجعل ثَأْرَنا على مَن ظلمنا، وانصرنا على مَن عادانا، ولا تجعلْ مصيبَتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا مَن لا يرحمنا**»[٨١]. ثم يتفرَّق الصحابةُ إلى أعمالهم أو إلى بيوتهم؛ للقيلولة قبل الظهر.

---

(٨٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٠٤١٥، ١٩٧٦٩، ١٩٨١٢، ٢٤٤٨٦)، و«مسند الدارمي» (٢٦٥٨)، و«سنن أبي داود» (٤٨٥٧-٤٨٥٩)، و«جامع الترمذي» (٣٤٣٣)، و«مسند البزار» (٣٨٤٨)، و«سنن النسائي» (١٣٢٧)، و«مسند أبي يعلى» (٧٤٢٦)، و«صحيح ابن حبان» (٥٩٤)، و«الدعاء» للطبراني (١٩١٢-١٩١٩)، و«المستدرك» (١/ ٤٩٦-٤٩٧، ٥٣٧)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٩٤)، و«الآداب» للبيهقي (٢٥٩)، و«شعب الإيمان» (٦٢٠)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب (١٤١٣).

(٨١) ينظر: «جامع الترمذي» (٣٥٠٢)، و«مسند البزار» (٥٩٨٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٢٣٤، ١٠٢٣٥)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٤٤٥)، و«المعجم الصغير» للطبراني (٨٦٦)، و«الدعاء» للطبراني (١٩١١)، و«المستدرك» (١/ ٥٢٨)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٤٤)، و«شرح السنة» للبغوي (١٣٧٤)، و«المجالسة» للدينوري (٧٢٥)، و«إثارة الفوائد» للعلائي (٢٤٤).



زيارات الرسول
صلى اللّٰه عليه وآله وسلم

وربما ذهب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في بعض ضَحَوات الأيام لزيارة مَن يرغب زيارتَه من قرابته أو أصحابه.

ومن ذلك ذهابه إلى بيت فاطمة رضي الله عنها؛ ليلقى ابنه الحسن بن علي عليهم السلام، فوقف في فناء البيت ونادى: «**أَثَمَّ لُكَعْ**[(٨٢)]، **أَثَمَّ لُكَعْ**». حتى خرج له الحسن وهو صبي يسعى، فالتزمه وقبَّله، وهو يقول: «**اللهمَّ إني أُحِبُّهُ، فأَحِبَّهُ، وأَحِبَّ مَن يُحِبُّهُ**»[(٨٣)].

وذهب ذات مرة إلى بيت فاطمة رضي الله عنها، فسألها عن زوجها علي رضي الله عنه، قائلًا: «**أين ابنُ عَمِّك؟**». فقالت: كان بيني وبينه شيء فخرج. فأرسل يبحث عنه، فقيل له: هو نائم في المسجد. فأتى إليه، وقد سقط رداؤُه عن جنبه، وعَلِقَ به التراب، فجعل يمسح عنه التراب، ويقول: «**قم أبا التراب، قم**

(٨٢)

(٨٣) ينظر: «مسند أحمد» (٧٣٩٨، ٨٣٨٠، ١٠٨٩١)، و«صحيح البخاري» (٢١٢٢، ٥٨٨٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤٢١)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٦٣).

أبا التراب»[٨٤].

ومن ذلك زيارته لأصحابه رضي الله عنهم، وقد كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعودُ مرضاهم، ويجيب دعوتهم، ويذهب وحده أحيانًا.

ومن ذلك إجابته دعوة مُلَيكة جدة أنس بن مالك رضي الله عنهما؛ فقد دعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لطعام صنعته، فأكل منه، ثم قال: «**قوموا فأصلِّي لكم**». قال أنس: فقمت إلى حَصِير لنا قد اسْودَّ من طول ما لُبِسَ، فنضحتُه بماء، فقام عليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصففتُ أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلَّى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين ثم انصرف[٨٥].

وربما ذهب ومعه بعض أهل بيته؛ فعن أنس رضي الله عنه، أن جارًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فارسيًّا، كان طيب المَرَق، وكانت مرقته أطيب شيء ريحًا، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، ثم جاء يدعوه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**وعائشة معي**». فقال: لا. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا**». فعاد يدعوه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وهذه معي**». قال: لا. قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا**».

(٨٤) ينظر: «مسند ابن أبي شيبة» (١٠٧)، و«صحيح البخاري» (٤٤١، ٣٧٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٩)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٢٥)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٤٦)، و«مناقب علي» لابن المغازلي (٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٧).

(٨٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٥٠٧، ١٢٦٨٠)، و«صحيح البخاري» (٣٨٠، ٨٦٠)، و«صحيح مسلم» (٦٥٨)، و«سنن أبي داود» (٦١٢)، و«جامع الترمذي» (٢٣٤)، و«سنن النسائي» (٨٠١)، و«صحيح ابن حبان» (٢٢٠٥)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٩٦).

ثم عاد يدعوه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وهذه**». قال: نعم. في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[٨٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن خيَّاطًا دعا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لطعام صنعه، قال أنس: فذهبتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك الطعام، فقرَّبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبزًا من شَعِير ومَرَقًا فيه دُبَّاءُ وقَدِيدٌ[٨٧]، وأقبل على عمله، قال: فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل من ذلك الدُّبَّاء ويعجبه، ورأيته يتتبَّع الدُّبَّاء من حول الصَحْفَة، فلما رأيتُ ذلك جعلتُ أُلْقِيه إليه ولا أطعَمُه، فلم أزل أحبُّ الدُّبَّاءَ من يومئذ[٨٨].

وربما ذهب إلى الدعوة هو وبعض أصحابه[٨٩].

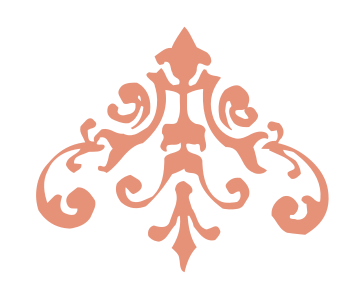
---

(٨٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٢٤٣، ١٣٨٦٩)، و«مسند عبد بن حميد» (١٢٩٠)، و«صحيح مسلم» (٢٠٣٧)، و«سنن النسائي» (٣٤٣٦)، و«مسند أبي يعلى» (٣٣٥٤)، و«مسند أبي عوانة» (٨٢٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (٥٣٠١)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» لابن عساكر (ص٨٧).

(٨٧) الدُّبَّاء: القرع. والقديد: اللحم المملح المجفف.

(٨٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٠٩٢، ٥٤٢٠، ٥٤٣٦، ٥٤٣٩)، و«صحيح مسلم» (٢٠٤١)، و«سنن أبي داود» (٣٧٨٢)، و«صحيح ابن حبان» (٤٥٣٩)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٢٧٣)، و«شرح السنة» (٢٨٥٨).

(٨٩) ينظر ما سيأتي في زياراته صلى الله عليه وآله وسلم (ص؟؟).



يمشي في الأسواق

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى يَتَقَلَّع ويَتَكَفَّأ، كأنما يَنْحَدِرُ من صَبَب[٩٠]، وإذا التفتَ التفتَ جميعًا، وكان إذا مشى معه أصحابه مَشَوْا أمامه وحوله، ولم يكونوا يتبعونه من خلفه، ولم يطأ عقبه رجلان[٩١].

وكان يبتسم لكل مَن يلقاه، قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ما لقيني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا تبسم في وجهي»[٩٢].

(٩٠) أي: يرفع رجليه من الأرض بقوة، ويميل إلى الأمام، والمقصود: يمشي بتواضع، لا بخيلاء.

(٩١) ينظر: «الطبقات» لابن سعد (١/ ٣٧٩-٣٨٠، ٤١٥، ٤١٧)، و«مسند أحمد» (٦٨٤، ١٠٥٣، ٣٠٣٣، ٨٦٠٤، ١٧٨٤٦)، و«صحيح البخاري» (٣٥٦١، ٥٩١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٣٣٠، ٢٣٤٠)، و«سنن أبي داود» (١٤٣، ٤٨٦٣، ٤٨٦٤)، و«جامع الترمذي» (١٧٥٤، ٣٦٣٧، ٣٦٤٨)، و«صحيح ابن حبان» (٦٣٠٩، ٦٣١٢)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٢١٦، ٧٨٦)، و«المستدرك» (١/ ١٤٨)، (٢/ ٢٣٣)، (٣/ ٣٧٠)، (٤/ ٢٩٢)، و«سنن البيهقي» (١/ ٥١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٢٧٤، ٣٠٥، ٣٧٨).

(٩٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٩١٧٣)، و«صحيح البخاري» (٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٥)، و«جامع الترمذي» (٣٨٢١)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٩)، و«صحيح ابن حبان» (٧٢٠٠).

وقال عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحدًا كان أكثرَ تَبَسُّمًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٩٣].

وكان إذا مرَّ بصبيان سلَّم عليهم، ومسح على وجوههم، قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وخرجتُ معه، فاستقبله وِلدَانٌ، فجعلَ يمسحُ خَدَّيْ أحدهم واحدًا واحدًا، وأما أنا فمسحَ خَدِّي، فوجدتُ ليده بردًا وريحًا، كأنما أخرجها من جُؤْنَةِ عطَّار[٩٤].

ومرَّ في المسجد يومًا، وعصبةٌ من النساء قعودٌ، فأَلْوَى بيده[٩٥] إليهنَّ بالسَّلام[٩٦].

---

(٩٣) ينظر: «الزهد» لابن المبارك (١٤٥)، و«مسند أحمد» (١٧٧٠٤، ١٧٧١٣)، و«جامع الترمذي» (٣٦٤١)، و«مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (٥٨)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٢٣، ١٧٣)، و«شعب الإيمان» (٧٦٨٧)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٣٥٠).

(٩٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢١٤٤)، و«مسند أحمد» (١٢٣٣٧، ١٢٧٢٤)، و«صحيح البخاري» (٦٢٤٧)، و«الأدب المفرد» (١٠٤٣)، و«صحيح مسلم» (٢١٦٨، ٢٣٢٩)، و«جامع الترمذي» (٢٦٩٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩٠٩، ١٩٤٤)، و«الآداب» للبيهقي (٢١٦)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٩٤٢)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٦٥٩).
وجؤنة العطار: سلة صغيرة يحفظ فيها الطيب.

(٩٥) أي: أشار.

(٩٦) ينظر: «مسند الحميدي» (٣٦٦)، و«الطبقات» لابن سعد (٨/ ١٠، ٣٢٠)، و«مسند أحمد» (١٩٢١٤، ٢٧٥٦١، ٢٧٥٨٩)، و«مسند الدارمي» (٢٦٣٧)، و«الأدب المفرد» (١٠٤٧)، و«سنن أبي داود» (٥٢٠٤)، و«جامع الترمذي» (٢٦٩٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣٧٠١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٤٨٦)، (٢٤/ ١٧٣) (٤٣٦)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٢٢٤)، و«شعب الإيمان» (٨٥٠٩)، و«الآداب» للبيهقي (٢١٧).

وكان إذا لقي الرجل من أصحابه مسحه ودعا له[٩٧].

وكان يقف لِمَن يستوقفه في الطريق، وربما استوقفته الجارية والمرأة، فيقف لها، حدَّث عَدِيٌّ بن حَاتم الطائي رضي الله عنه عن أول لُقياه النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: بينا أنا أمشي معه، إذ نادتهُ امرأةٌ وَغلامٌ معها: يا رسولَ الله، إنَّ لَنا إليكَ حاجةً. فخَلَوْا به قائمًا معهما حتى أَوَيْتُ له منْ طول الْقيام، قلتُ في نفسي: أشهدُ أنك بَرِيءٌ منْ ديني ودينِ النُّعمان بن الْمنذر، وَأنك لَو كنتَ مَلِكًا لم يَقُمْ معه صبيٌّ وامرأة طولَ ما أرى. فَقَذَفَ اللهَّ في قلبي له حُبًّا[٩٨].

وكان يمشي بعفوية وتدفُّق، بعيدًا عن التزمُّت والتواقر المتكلَّف؛ فقد مرَّ مرَّة في طريقه بشاب يَسْلُخُ شاة، ولم يكن يحسن السَّلْخَ، فحاد إليه، فقال له: «**تَنَحَّ حتى أريك؛ فإني لا أَراكَ تُحسنُ تسلُخُ**». فأدخل يده بين الجلد واللحم، فدحس بها[٩٩] حتى توارت إلى الإِبْط، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**هكذا يا غلام فاسلخ**». ثم انطلق[١٠٠].

ومرَّ في طريقه برجل قد وضع بُرْمَتَه على النار، فقال له: «**أطابتْ بُرمَتُك؟**». قال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله. فتناول منها بَضْعَةً، فجعل يَعْلُكُها[١٠١]

(٩٧) ينظر: «سنن النسائي» (٢٦٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٢٦٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٢٥٨)، و«مسند السراج» (٢٤).

(٩٨) ينظر: «الأحاديث الطوال» للطبراني (١).

(٩٩) أي: أدخلها ودسها.

(١٠٠) ينظر: «سنن أبي داود» (١٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (٣١٧٩)، و«صحيح ابن حبان» (١١٦٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٢).

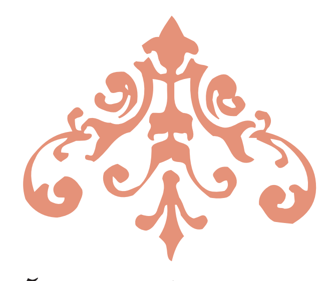
(١٠١) أي: يمضغها.

وهو يسير[١٠٢].

وكان إذا أتى بابَ قوم لم يستقبل البابَ من تلقاء وجهه، ولكن يتجافى إلى ركنه الأيمن أو الأيسر؛ فقد كانت الدور صغيرة، ولم يكن على أبوابها يومئذ سُتور، ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**»[١٠٣].

(١٠٢) ينظر: «سنن أبي داود» (١٩٣)، و«الكنى والأسماء» للدولابي (٣/ ١١٧٧)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ٤٤٢) (١٨٧).

(١٠٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٦٩٤)، و«الأدب المفرد» (١٠٧٨)، و«سنن أبي داود» (٥١٨٦)، و«سنن البيهقي» (٨/ ٣٣٩)، و«الآداب» للبيهقي (٢٠٧)، و«شعب الإيمان» (٨٤٣٧، ٨٤٣٨)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب (٢٢١)، و«شرح السنة» للبغوي (٣٣١٩)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ٤٠٥) (٧٨).



زياراته صلى الله عليه وآله وسلم
مع أصحابه

ومنها زيارته لعِتْبان بن مالك رضي الله عنه؛ فقد دعاه عِتبانُ رضي الله عنه ليصلِّي له في بيته، فأتى إليه ضحًى، ومعه أبو بكر وعمر وبعض أصحابه، فقال له: «**أين تريدُ أن أصلِّي في بيتك؟**». فأَرَاه ناحية في بيته، وبسط له فيها حصيرًا، ورشَّ طرفه بالماء، فصلَّى بهم ركعتين، ثم استبقاه عتبان؛ ليصيب من طعام صنعه له، فجلس وطَعِم عنده[١٠٤].

وكان يُؤْنِس مَن يزورهم، ويسعهم جميعًا برُّه وحسن خلقه، حتى صِبيتهم وصغارهم.

قال أنس رضي الله عنه: كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أحسنَ الناس خُلقًا، وكان يغشانا ويخالطنا، وكان لي أخ فَطِيم -في الثالثة من عمره- وكان إذا زارنا يمازحه ويضاحكه، فزارنا ذات يوم فوجده حزينا، فقال: «**يا أمَّ سُليم، ما لي أرى ابنك أبا عُمَير حزينًا خَاثِر النفس**[١٠٥]؟». قالت: يا رسول الله، مات

(١٠٤) ينظر: «مسند أحمد» (٦٤٨٢، ٢٣٧٧٠)، و«صحيح البخاري» (٤٢٥، ١١٨٦)، و«صحيح مسلم» (٣٣).

(١٠٥) أي: ثقيل النفس، غير طيب ولا نشيط.

نُغَيْرُه[١٠٦] الذي كان يلعب به. فأقبل عليه، وجعل يمسح رأسه، ويقول: «**يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَيْر؟ يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير؟**»[١٠٧].

وكان إذا زار أحدًا من أصحابه وطَعِم عنده دعا لهم وصلَّى عليهم؛ فقد زار سعدَ بنَ عبادة رضي الله عنه، فجاءه بخبز وزيت، فأكل صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: «**أَفْطَرَ عندكم الصائمونَ، وأَكَلَ طعامَكم الأبرارَ، وصلَّت عليكمُ الملائكةُ**»[١٠٨].

وزار بُسْرَ بنَ أبي بُسْر رضي الله عنه، فقرَّب إليه طعامًا ووَطْبَةً[١٠٩]، فأكل منها، ثم أُتِي بشراب فشربه، ثم قال: «**اللهمَّ بارك لهم في ما رزقتهم، واغفرْ لهم وارحمهم**»[١١٠].

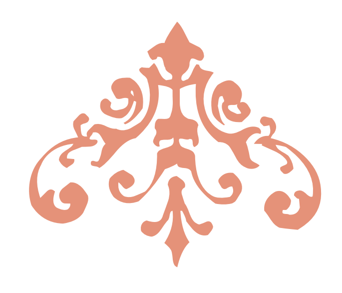
(١٠٦) النغير: طائر صغير شبه العصفور.

(١٠٧) ينظر: «مسند أحمد» (١٢١٣٧)، و«صحيح البخاري» (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢١٥٠).

(١٠٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٢١٧٧، ١٢٤٠٦)، و«سنن أبي داود» (٣٨٥٤)، و«سنن ابن ماجه» (١٧٤٧)، و«مسند البزار» (٦٨٧٢)، و«صحيح ابن حبان» (٥٢٩٦)، و«الدعاء» للطبراني (٩٢٢-٩٢٧)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٢٤٠)، (٧/ ٢٨٧)، و«الآداب» للبيهقي (٢٦٨)، و«شعب الإيمان» (٦٠٤٨)، و«الدعوات الكبير» (٥١١)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٢/ ٣٢٩) (١٧٨٣).

(١٠٩)

(١١٠) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٣٧٥)، و«مسند أحمد» (١٧٦٧٣)، و«صحيح مسلم» (٢٠٤٢)، و«سنن أبي داود» (٣٧٢٩)، و«جامع الترمذي» (٣٥٧٦)، و«صحيح ابن حبان» (٥٢٩٧)، و«الدعاء» للطبراني (٩٢٠، ٩٢١)، و«المستدرك» (٤/ ١٠٧)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٤٧)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٥٠٩)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ٣٨٦) (٢١).



عيادته المرضى

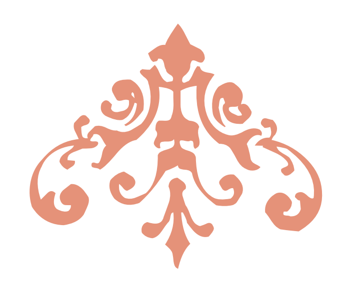
ومن زياراته: عيادته المرضى، ومن ذلك أن سعد بن عبادة رضي الله عنه اشتكى شكوى، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه وجده قد غُشِي عليه، وحوله أهله، فقال: «**قد قضى؟**». قالوا: لا يا رسولَ الله. فبكى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأى القومُ بكاءَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بَكَوْا، فقال: «**أَلَا تسمعون! إن الله لا يعذِّبُ بدَمْع العين، ولا بحُزْن القلب، ولكن يعذِّب بهذا** -وأشار إلى لسانه - **أو يرحم**»(١١١).

ومن ذلك عيادته جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال جابر: مَرِضْتُ فعادني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر ماشيين، وأنا في قومي بني سَلِمة، فوجدني قد أُغمي عليَّ، فتوضأ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم رشَّ عليَّ من وَضوئه، فأفقت، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم،

(١١١) ينظر: «صحيح البخاري» (١٣٠٤)، و«صحيح مسلم» (٩٢٤)، و«شرح معاني الآثار» (٦٩٧١)، و«صحيح ابن حبان» (٣١٥٩)، و«شعب الإيمان» (٩٦٨٦)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٦٩)، و«شرح السنة» للبغوي (١٥٢٩).

فقلتُ: يا رسولَ الله، كيف أصنع في مالي، وإنما يرثني كلالة -أي: لا والد لي ولا ولد- فلم يرد عليَّ شيئًا حتى نزلت آية الميراث[١١٢].

(١١٢) ينظر: «مسند الحميدي» (١٢٢٩)، و«مسند أحمد» (١٤١٨٦، ١٤٢٩٨)، و«صحيح البخاري» (٦٧٢٣)، و«صحيح مسلم» (١٦١٦)، و«سنن أبي داود» (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، و«جامع الترمذي» (٢٠٩٦، ٢٠٩٧، ٣٠١٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٤٣٦، ٢٧٢٨)، و«سنن النسائي» (١٣٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٠٦)، و«مسند أبي عوانة» (٥٦٠١-٥٦٠٨).



راحة القيلولة

ويذهب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تعالى الضحى إلى بيت زوجه التي هو عندها وفي يومها، فإذا دخل بيته كان أول شيء يفعله عند الدخول الذكر والسواك والسلام على أهل البيت(١١٣)، ثم يصليِّ صلاة الضحى أربع ركعات، وربما زاد فصلاها ستًّا أو ثمانًا(١١٤).

وربما صادف طعامًا فأصاب منه، إذا لم يكن طَعِم في الصباح، وقد يعرض عليه الطعام وهو صائم فيفطر، فقد قالت له عائشة رضي الله عنها يومًا: يا رسولَ الله، أُهديت لنا هدية، أو جاءنا زائر، وقد خبأتُ لك شيئًا. قال: «**وما**

(١١٣) ينظر ما تقدم في دخوله صلى الله عليه وآله وسلم على نسائه أول النهار.

(١١٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٤٥٦، ٢٤٧٤٥، ٢٥٢٣٢، ٢٥٣٤٨)، و«صحيح البخاري» (١١٠٤، ١١٧٦)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٢١٢)، و«صحيح مسلم» (٣٣٦)، و«جامع الترمذي» (٤٧٤)، و«الشمائل» للترمذي (٢٨٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٢٢٨)، و«صحيح ابن حبان» (٢٥٣١)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (١٢٧٦، ٢٧٢٤)، و«المستدرك» (١/ ٣١٤)، و«حلية الأولياء» (٩/ ٢٢٧)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٢/ ٤٨٤)، (٢٢٢٠)، و«زاد المعاد» (١/ ٣٤٤-٣٤٥، ٣٥١)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٤)، و«عمدة القاري» (١١/ ٤٢٣).

هو؟». قالت: حَيْسٌ[115]. قال:«**هاتيه**». فجاءت به فأكل، ثم قال: «**قد كنتُ أصبحتُ صائمًا**»[116].

وفي دخوله هذا رأى زوجه جُويرية رضي الله عنها في مصلَّاها تذكر الله، وكان قد دخل عليها في الصباح وهي على حالها تلك، فقال: «**مازلتِ على حالك التي فارقتك عليها؟**». قالت: نعم. قال: «**لقد قلتُ بعدَك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومِدَاد كلماته**»[117].

وكانت هذه ساعة خلوته في بيته مع أهله.

وربما أتاه فيها بعض نساء المؤمنات يسألنه عن أمور دينهن مما لا يجرؤن على السؤال عنه أمام الرجال، ويكون السؤال بمحضر أمهات المؤمنين، فحفظن للأمة هذه الفتاوى النبوية في خاصة أمور النساء.

ومن ذلك: أن إحدى نساء الأنصار أتته عند عائشة رضي الله عنها، فسألته عن غسل المحيض، فقال: «**تأخذ إحداكُنَّ ماءَها وسِدْرَتها، فتطهَّرُ، فتُحسنُ الطُّهورَ، ثم تصبُّ على رأسها، فتَدْلُكُه دَلْكًا شديدًا، حتى تبلغ شؤونَ رأسها، ثم تصبُّ عليها الماء، ثم تأخذ فِرْصَةً مُمَسَّكةً فتطهَّرُ بها**». فقالت المرأة رضي الله

(١١٥) الحَيْس: طعام تتخذه العرب من الأقط –وهو اللبن المجفف– والتمر والسمن، تحاس –أي: تخلط– جميعًا، وهو من طعام السفر غالبًا لسهولة إعداده.

(١١٦) ينظر ما تقدم في دخوله صلى الله عليه وآله وسلم بيوته أول النهار.

(١١٧) ينظر ما تقدم في دخوله صلى الله عليه وآله وسلم على جويرية رضي الله عنها، وذلك أول النهار.

عنها: وكيف تَطَهَّرُ بها؟ فقال: «**سبحان الله، تطهَّرين بها!**». واستحى وأعرض، قالت عائشة رضي الله عنها: فلما رأيتُه استحى جذبتها إليَّ، فقلتُ: تتبَّعي بها أثر الدم. وهو يسمع ولا ينكر(١١٨).

وأتته أم سُليم وهو عند زوجته أم سَلَمة رضي الله عنهما، فقالت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إذا رأتِ المرأةُ أن زوجَها يجامعها في المنام، أتغتسل؟ فقالت أم سَلَمة: تَرِبَتْ يداك يا أم سُليم، فضحتِ النساء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فقالت أم سُليم: إن الله لا يستحي من الحق، وإنا إن نسأل النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عما أشكل علينا، خير من أن نكون منه على عَمْيَاء! فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لأم سَلَمَةَ: «**بل أنت تَرِبَتْ يداك؛ نعم يا أم سُليم، عليها الغسل إذا وجدت الماء**». فقالت أم سلمة: يا رسولَ الله، وهل للمرأة ماء؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فأَنَّى يشبِهُها ولدها؟ هن شَقَائِقُ الرجال**»(١١٩).

(١١٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥١٤٥)، و«صحيح البخاري» (٣١٤، ٣١٥، ٧٣٥٧)، و«صحيح مسلم» (٣٣٢)، و«سنن أبي داود» (٣١٤)، و«سنن ابن ماجه» (٦٤٢)، و«سنن النسائي» (٢٥١، ٤٢٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٤٨)، و«مسند أبي عوانة» (٩٢٠، ٩٢١)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٨٠).

(١١٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦١٩٥، ٢٦٦١٣، ٢٧١١٤، ٢٧١١٨)، و«صحيح البخاري» (٦٠٩١، ٦١٢١)، و«صحيح مسلم» (٣١٠-٣١٤)، و«مسند الدارمي» (٧٦٣، ٧٦٤)، و«سنن أبي داود» (٢٣٦)، و«جامع الترمذي» (١١٣، ١٢٢)، و«سنن ابن ماجه» (٦٠٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٥)، و«مسند أبي يعلى» (٧٠٠٤)، و«مسند أبي عوانة» (٨٣١-٨٤٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٢٦٣، ٣٨٢) (٥٥٣، ٩٠٨)، (٢٥/ ١٢٧) (٣٠٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٦٧-١٦٨)، و«فتح الباري» (١/ ٢٢٩)، و«التلخيص الحبير» (١/ ٣٦٨-٣٦٩).

وقد كان لنساء الأنصار رضي الله عنهن جرأة في السؤال والاستيضاح، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصار؛ لم يمنعهنَّ الحياءُ أن يتفقهن في الدين»[١٢٠].

وربما زاره في هذا الوقت بعض خاصة أصحابه لأمر يعرض لهم:

ومن ذلك: أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيته مضْطَجِعًا على فراشه، لابسًا مِرْطًا لعائشة[١٢١]، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فجاء أبو بكر رضي الله عنه، فاستأذن، فأَذِن له، وهو على تلك الحال، فقَضَى إليه حاجته ثم انصرف، ثم جاء عمرُ رضي الله عنه، فاستأذن، فأَذِن له، وهو على تلك الحال، فقَضَى إليه حاجته ثم انصرف، ثم جاء عثمانُ رضي الله عنه، فاستأذن، فجلس صلى الله عليه وآله وسلم وسوَّى عليه ثيابه، وقال لعائشة رضي الله عنها: «**اجمعي عليك ثيابك**». ثم أَذِن له فدخل، وتحدَّث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقضى إليه حاجته، ثم انصرف، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ الله، دخل أبو بكر، فلم تهتشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تَهْتَشَّ له ولم تُبَالِهِ، ثم دخل عثمان فجلست، وسوَّيتَ عليك ثيابك؟! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَلا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة! إن عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يَبْلُغَ إليَّ في حاجته**»[١٢٢].

---

(١٢٠) هو جزء من حديث عائشة رضي الله عنها في سؤال الأنصارية عن غسل المحيض.

(١٢١) المرط: ثوب يلبسه الرجال والنساء، يكون إزارًا، ويكون رداءً.

(١٢٢) ينظر: «مسند أحمد» (٥١٤، ٢٥٢١٦/ ٢٥٣٣٩)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٧٦٠، ٧٩٣، ٧٩٤)، و«الأدب المفرد» (٦٠٠، ٦٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠١، ٢٤٠٢)، و«فضائل عثمان» لعبد الله بن أحمد (٥٠، ٨٥، ١٠٦)، و«مسند أبي يعلى» (٤٤٣٧، ٤٨١٥،

أَمَّا إذا خلا مع زوجته في بيته، فقد وصفت عائشة رضي الله عنها حاله تلك، فقالت: «كان إذا خلا في بيته مع أهله ألين الناس، وأكرم الناس، كان رجلًا من رجالكم، إلا أنه كان ضَحَّاكًا بَسَّامًا، وما كان إلا بشرًا من البشر، كان يكون في مِهْنة أهله -أي خدمة أهله- يخصف نعلَه، ويخيط ثوبَه، ويحلُب شاته، ويخدُم نفسه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[١٢٣].

إن هذا مشهد من مشاهد التمازج الزوجي في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن في بيته الذي كان حجرة واحدة متقاربة الأطراف ما يُحْوِجُ أهلَه إلى معونة، حتى يكون في مِهْنة أهله، ولكنها العظمة الأخلاقية، حيث يشارك أهلَه مهنتَهُم؛ ليشعرهم أن البيتَ بيتُهم جميعًا، كما أن الحياةَ حياتُهم جميعًا.

كم في هذه اللفتة النبوية من رسائل الاهتمام الزوجي والحفاوة بالحياة الزوجية! فصلَّى الله على مَن كان **خيرَ الناس للناس، وخيرَ الناس لأهله.**

وكما كان في بيته ومع أهله مساحة واسعة للوُدِّ والرحمة، ففيه مساحة واسعة للأنس والبهجة، وعفوية الحياة ولهوها، فها هي سَوْدة تزور عائشة

٤٨١٨)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٠٦، ٦٩٠٧)، و«سنن البيهقي» (٢٠/ ٢٣١)، و«شرح السنة» (٣٨٩٩)، و«تاريخ دمشق» (٣٩/ ٨٠-٩٢)، (٦٤/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

(١٢٣) ينظر: «مسند إسحاق بن راهويه» (١٧٥٠)، و«الطبقات» لابن سعد (١/ ٣٦٥-٣٦٦)، و«مسند أحمد» (٢٤٢٢٦، ٢٤٩٠٣، ٢٦١٩٤، ٢٥٣٤١)، و«الزهد» لهناد (١٢٦٩)، و«مسند عبد بن حميد» (١٤٨٢)، و«صحيح البخاري» (٦٧٦، ٥٣٦٣)، و«الأدب المفرد» (٥٣٨-٥٤١)، و«جامع الترمذي» (٢٤٨٩)، و«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٣٩٧)، و«مسند أبي يعلى» (٤٨٧٣)، و«صحيح ابن حبان» (٥٦٧٥-٥٦٧٧، ٦٤٤٠)، و«الآداب» للبيهقي (٦٧٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٣٢٧).

رضي الله عنهما يومًا في حجرتها، فجلسَ رسولُ الله بينها وبين عائشة، ووضع إحدى رجليه في حِجر عائشة ورجله الأخرى في حِجر سَوْدة، وكانت عائشة قد عملت حَرِيرة[١٢٤]، فقالت لسَوْدة: كُلِي. فأبت، قالت: لتأكلي أو لَأُلَطِّخَنَّ وجهك. فأبت، فأخذت بكفها شيئًا من القصعة فلطَّخت به وجهها، فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجله من حِجْر سَوْدة كي تَسْتَقِيدَ منها[١٢٥]، فأخذت من القصعة شيئًا، فلطَّخت به وجه عائشة، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك من صنيعهما، وبينما هم يضحكون جميعًا، وانفعالات الفرح الصاخب تُدَوِّي في الحجرة النبوية، إذ سمعوا صوت عمر ينادي في المسجد: يا عبدَ الله بن عمر، يا عبدَ الله بن عمر. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**قوما فاغسلا وجوهكما، فلا أحسب عمرَ إلا داخلا**»[١٢٦].

لقد كان هذا التآنس والتهازل حَرَاكًا في مساحة السَّعة الواسعة التي جعلها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ميدانًا للحياة؛ **إن في ديننا سَعة**.

وكان ينام القَيْلولة إلى قريب صلاة الظهر، وكانت قَيْلُولته في بيوته وعند أزواجه، ولم يكن يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، عدا أم سُليم رضي الله عنها؛ فإنه كان يدخل عليها ويَقِيل عندها، وهي من محارمه[١٢٧]، فقيل له في

(١٢٤)

(١٢٥) أي: تنتصر لنفسها منها.

(١٢٦) ينظر: «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (١٥٩)، و«مسند أبي يعلى» (٤٤٧٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٩١٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٥٠٤ - زوائد القَطِيعي)، و«الغيلانيات» (١٢١)، و«تاريخ دمشق» (٤/ ٤٣)، (٤٤/ ٩٠).

(١٢٧) اتفق العلماء على أن دخوله صلى الله عليه وآله وسلم على أم سليم رضي الله عنها كان

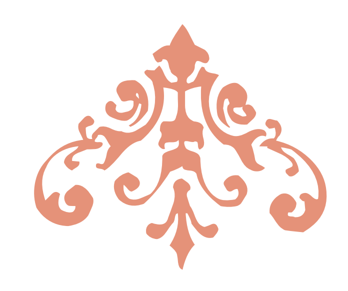
ذلك، فقال: «**إني أرحمها؛ قُتل أخوها معي**»[١٢٨].

وربما دخل ونام على فراشها، وليست في بيتها، فأُتيت يومًا، فقيل لها: هذا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم نائمٌ على فراشك. فجاءت، وذاك في الصيف، وقد عَرِقَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى استنقع عَرَقُه على قطعة أَدِيم على الفراش، فجعلت تُنَشِّف ذلك العرق وتعصِرُه في قارورةٍ، فاستيقظ وهي تصنع ذلك، فقال: «**ما تصنعين يا أم سُليم؟**». قالت: يا رسولَ الله، عرقك أجعله في طِيْبي، وأرجو بركتَه لصبياننا. قال: «**أصبتِ**». ودعا لها بدعاء حسن[١٢٩].

للمحرمية بين أم سليم رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واختلفوا في سبب المحرمية، من نسب أو رضاع، أم هي خصوصية له صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث لم يكن يدخل على أحد من النساء غير أزواجه وأم سليم وأختها أم حرام رضي الله عنهن. وينظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/ ٥٧-٥٨)، (١٦/ ١٠)، و«فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٢٠٣)، (١١/ ٧٨-٨٠).

(١٢٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٨٤٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤٥٥)، و«مسند البزار» (٦٤٣٢).

(١٢٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢١٩١)، و«مسند أحمد» (١٢٠٠٠، ١٣٣١٠، ١٣٣٦٦)، و«صحيح مسلم» (٢٣٣١، ٢٣٣٢)، و«مسند البزار» (٦٧٦٧، ٦٧٩٦)، و«سنن النسائي» (٥٣٧١)، و«مسند أبي يعلى» (٢٧٩١، ٢٧٩٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨١)، و«صحيح ابن حبان» (٤٥٢٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٥/ ١٢٢) (٢٩٧)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٥٤)، (٢/ ٤٢١).



إلى قُباء

وكان يذهب ضحًى كل سبت إلى قُبَاءَ، فيصلِّي في مسجد قُباءَ، ويأتي إليه أهل قُباءَ، وهم بنو عوف بن الحارث في المسجد، فيسلِّمون عليه وهو يصلِّي، فيشير إليهم[١٣٠].

فإذا ذهب إلى قُباءَ فإنه ينام القيلولة عند أم حَرَام بنت مِلْحَان أخت أم سُليم وزوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهي من محارمه صلى الله عليه وآله وسلم[١٣١].

فدخل عليها يومًا، فأطعمته وجعلت تَفْلِي رأسه، فنام رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: وما يضحكك يا رسولَ الله؟

(١٣٠) ينظر: «مسند أحمد» (٥٨٦٠، ٢٣٨٨٦)، و«صحيح البخاري» (١١٩١، ١١٩٣)، و«صحيح مسلم» (١٣٩٩)، و«سنن أبي داود» (٩٢٧)، و«جامع الترمذي» (٣٦٨)، و«مسند البزار» (١٣٥٣، ٢٠٨٣)، و«مسند أبي يعلى» (٥٦٣٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٦١٨، ١٦٣٢)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٥٩)، (٥/ ٢٤٨)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٣/ ٢٠٨) (٥٥–٥٨)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٣).

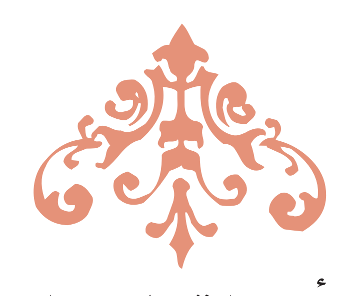
(١٣١) ينظر ما تقدم في دخوله على أم سليم رضي الله عنها.

قال: «**ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر**[١٣٢] **مُلوكًا على الأَسِرَّة**». قالت: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يجعلَني منهم. فدعا لها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: وما يضحكك يا رسولَ الله؟ قال: «**ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله**». كما قال في الأول، قالت: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يجعلَني منهم. قال: «**أنت من الأوَّلين**». فركبت البحرَ في زمان معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه، فصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فتُوفِّيت شهيدة رضي الله عنها[١٣٣].

---

(١٣٢) أي: وسط البحر، أو ظهر البحر.

(١٣٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٣٥٢٠)، و«صحيح البخاري» (٢٧٨٨، ٧٠٠١)، و«صحيح مسلم» (١٩١٢)، و«جامع الترمذي» (١٦٤٥)، و«سنن النسائي» (٣١٧١)، و«مسند أبي يعلى» (٣٦٧٧)، و«مسند أبي عوانة» (٧٤٥٦-٧٤٦٢)، و«صحيح ابن حبان» (٦٦٦٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٤٥٠-٤٥١)، و«فتح الباري» (١١/ ٧٣-٧٤).



أمسيات الرسول
صلى اللّٰه عليه وآله وسلم

فإذا زالت الشمس أَذَّن بلالٌ للظهر، فيستيقظ صلى الله عليه وآله وسلم من قيلولته إن كان لا يزال نائمًا، ويُجيب المؤذنَ بمثل ما يقول(١٣٤)، ويتوضأ إن كان به حاجة إلى وضوء(١٣٥)، ثم يصلِّي في بيته أربع ركعات(١٣٦)، وكان يقول: «إنها

---

(١٣٤) ينظر ما تقدم في استيقاظه صلى الله عليه وآله وسلم بعد الفجر.

(١٣٥) وربما قام صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة من غير وضوء، فيقال له في ذلك، فيقول: «تنام عيناي، ولا ينام قلبي». كما تقدم.

(١٣٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٠١٩)، و«صحيح مسلم» (٧٣٠)، و«سنن أبي داود» (١٢٥١)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٩٩)، و«مسند أبي عوانة» (٢١٠٨)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٧٥)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٧١).

وورد أنه كان يصلي ركعتين، ولم يذكر ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلاهما في بيته.

ينظر: «مسند أحمد» (٤٥٠٦)، و«مسند الدارمي» (١٤٣٧)، و«صحيح البخاري» (٩٣٧، ١١٧٢، ١١٨٠)، و«صحيح مسلم» (٧٢٣، ٧٢٩)، و«سنن أبي داود» (١٢٥٢)، و«سنن النسائي» (٨٧٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٩٧)، و«مسند أبي عوانة» (٢١٠٩)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٩، ٤٧١).

ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأُحبُّ أن يصعدَ لي فيها عملٌ صالحٌ»[١٣٧].

ثم ينتظر الصلاة في بيته، وربما كان عنده بعض بنيه، كالحسن والحسين، ابني فاطمة، أو أمامة ابنة ابنته زينب؛ فيلاعبهم، حتى يأذنه بلالٌ رضي الله عنه بالصلاة فيخرج.

وربما قبَّل إحدى زوجاته وهو خارج إلى الصلاة[١٣٨]، فإذا خرج أقام بلالٌ رضي الله عنه الصلاةَ، وقام الصحابةُ رضي الله عنهم إذا رَأَوْهُ[١٣٩].

وربما فَجِئَهُم منظرُه خارجًا إليهم حاملًا الحسن أو الحسين عليهما السلام، أو حاملًا ابنته أمامة على رقبته، وربما وضع الصبيَّ وصلَّى وهو إلى جانبه.

ومن ذلك أنه خرج مرة، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدَّم فوضعه، ثم كبَّر للصلاة، فصلَّى، فسجد في أثناء صلاته سجدة أطالها، فرفع شدادُ بن الهاد رضي الله عنه رأسَه، فإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد، فلما قضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاتَه قال الناس:

---

(١٣٧) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٥٥١)، و«جامع الترمذي» (٤٧٨)، و«الآحاد والمثاني» (٢٧٤٠)، و«تهذيب الآثار» (١١٠٥ - مسند عمر)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠٣٧، ٤٠٣٨)، و«المعجم الأوسط» (٤٤١٢)، و«شرح السنة» للبغوي (٨٩٠)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٤/ ١١) (٣٦٧).

(١٣٨) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤٨٥)، و«مسند أحمد» (٢٥٧٦٦)، و«سنن أبي داود» (١٧٩)، و«جامع الترمذي» (٢٨٦)، و«علل الترمذي الكبير» (ص٥٠)، و«سنن ابن ماجه» (٥٠٢)، و«سنن النسائي» (١٧٠)، و«سنن الدارقطني» (١/ ١٣٧)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٢٥)، و«شرح السنة» للبغوي (١٦٨).

(١٣٩) ينظر ما تقدم في صلاة الصبح.

يا رسولَ الله، إنك سجدتَ سجدةً أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ، أو أنه يُوحَى إليك! قال: «**كلُّ ذلك لم يكن؛ ولكن ابني ارْتَحَلَنِي، فكرهتُ أن أُعْجِلَهُ حتى يقضيَ حاجته**»(١٤٠).

وربما صلَّى والطفلة على عاتقه، إذا ركع وضعها، وإذا قام رفعها، كما صنع ذلك وهو حامل أمامة بنت زينب رضي الله عنهما(١٤١).

وكان يصلِّي الظهرَ في أول وقتها، ويقرأ فيها بنحو ثلاثين آية في الركعتين(١٤٢).

---

(١٤٠) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢١٩١)، و«مسند أحمد» (١٦٠٣٣، ٢٧٦٤٧)، و«العيال» لابن أبي الدنيا» (٢١٨، ٢١٩)، و«الآحاد والمثاني» (٩٣٤)، و«سنن النسائي» (١١٤١)، و«شرح مشكل الآثار» (٥٥٨٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧١٠٧)، و«المستدرك» (٣/ ١٦٥-١٦٦، ٦٢٦-٦٢٧)، و«تاريخ دمشق» (١٣/ ٢١٥-٢١٦)، (١٤/ ١٦٠-١٦١).

(١٤١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٥٢٤، ٢٢٥٧٩)، و«صحيح البخاري» (٥١٦)، و«صحيح مسلم» (٥٤٣)، و«سنن أبي داود» (٩١٧)، و«العيال» لابن أبي الدنيا (٢٢٦)، و«سنن النسائي» (٨٢٧، ١٢٠٤، ١٢٠٥)، و«مسند أبي عوانة» (١٧٣٤-١٧٤٠)، و«صحيح ابن حبان» (١١٠٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٤٣٨، ٤٤٢) (١٠٦٧، ١٠٧٨)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٦٢، ٣١١، ٤١١).

(١٤٢) ينظر: «مسند الطيالسي» (٨٠٦، ٩٦٣)، و«مسند أحمد» (١١٨٠٢، ١٤٩٦٩، ٢١٠١٦- ٢١٠١٩، ٢٣٠٩٧)، و«مسند الدارمي» (١٢٨٨)، و«صحيح البخاري» (٥٦٠، ٥٦٥)، و«صحيح مسلم» (٤٥٢، ٦١٨، ٦١٩، ٦٤٦)، و«سنن أبي داود» (٣٩٧، ٤٠٣، ٤١١، ٨٠٤، ٨٠٦)، و«جامع الترمذي» (٣٠٧)، و«سنن ابن ماجه» (٦٧٣، ٦٧٤، ٦٨٠، ٨٢٨)، و«مسند البزار» (٤٢٦١)، و«سنن النسائي» (٤٧٥، ٤٧٦، ٥٢٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٥٠٩)، و«شرح معاني الآثار» (١/ ١٨٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٢٥، ١٨٢٨، ١٨٥٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٨٩٤)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٨٥، ٤٣٤، ٤٣٨)، (٢/ ٦٣، ٦٤، ٦٦).

وربما أطالها أحيانًا، حتى إن الصلاة تقام، فيذهب الذاهبُ إلى البقيع، فيقضي حاجته، ثم يذهب إلى أهله فيتوضأ، ثم يأتي ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في الركعة الأولى؛ مما يطوِّلُها[١٤٣].

وكان يُسِرُّ القراءةَ في صلاته، فيَعرفون قراءتَه باضطراب لحيته، وربما سمعوا منه الآية والآيتين أحيانًا[١٤٤].

فإذا فرغ من صلاته أقبل على أصحابه، فإن كان قد نزل أمرٌ أو عَرَضَ عارضٌ خطبَ الناسَ بعد صلاة الظهر؛ لأنها وقت اجتماع الناس؛ إذ هم قد نهضوا من قيلولتهم، فالاجتماع فيها أكثر، والنفوس جامَّة مستريحة واعية لما يقال.

ومن ذلك: خطبته عندما قدم عليه وفد المُضَريِّين، فرأى ما بهم من الجوع والفاقة، فخطب بعد صلاة الظهر، فحمدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن الله أنزل في كتابه**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ

---

(١٤٣) ينظر: «مسند أحمد» (١١٣٠٧)، و«القراءة خلف الإمام» للبخاري (٢٤٣)، و«صحيح مسلم» (٤٥٤)، و«سنن ابن ماجه» (٨٢٥)، و«مسند أبي عوانة» (١٧٤٧)، و«صحيح ابن حبان» (٨٥٤)، و«مسند الشاميين» (٣٠٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٦٦، ٣٩٠).

(١٤٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (٦٢٦) و«مسند أحمد» (١٩٤١٨، ٢١٠٦٠، ٢١٠٧٨، ٢٢٦٥٤، ٢٧٢١٥)، و«مسند الدارمي» (١٢٩١)، و«صحيح البخاري» (٧٤٦، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٢)، و«القراءة خلف الإمام» للبخاري (٢٨٩)، و«صحيح مسلم» (٤٥١)، و«سنن أبي داود» (٧٩٨، ٨٠١)، و«سنن ابن ماجه» (٨٢٦، ٨٢٩)، و«سنن النسائي» (٩٧٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٢٥٢٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٧، ١٥٨٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٢٦، ١٨٢٩-١٨٣١) و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٧، ٥٤، ٥٩، ١٩٣)، و«فتح الباري» (٢/ ٢٤٥).

رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. **تصدَّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره»**. حتى قال: «**ولو بشِقِّ تمرة**». فحثَّ الناسَ على الصدقة ورغَّبهم فيها[١٤٥].

ومن ذلك: خطبته يوم قدم عليه ابن اللُّتْبِيَّةِ رضي الله عنه من سِعاية كان قد ولَّاه عليها، فقال: يا رسولَ الله، هذا لكم، وهذا أُهْدِي لي. فخطب الناسَ بعد صلاة الظهر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعدُ، فإني أستعملُ الرجلَ منكم على العمل مما ولَّاني اللهُ، فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هَدية أُهديت لي. أفلا جلسَ في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هَديته! والله، لا يأخذُ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقِّه إلا لَقِي اللهَ يحمله يوم القيامة، فلأَعْرِفَنَّ أحدًا منكم لَقِي اللهَ يحمل بعيرًا له رُغاءٌ**[١٤٦]**، أو بقرةً لها خُوارٌ**[١٤٧]**، أو شاةً تَيْعَرُ**[١٤٨]». ثم رفع يدَه حتى رُؤي بياضُ إبطه، يقول: «**اللهمَّ هل بلغتُ؟**»[١٤٩].

---

(١٤٥) ينظر ما تقدم في مجلسه صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الصبح.

(١٤٦) الرغاء: صوت ضجيج ذوات الخُفِّ.

(١٤٧) الخوار: صوت البقر والغنم.

(١٤٨) بفتح وكسر العين، أي: تصيح بشدة.

(١٤٩) ينظر: «مسند الشافعي» (٤٥٢)، و«الأموال» لأبي عبيد (٥٦٢)، و«مسند أحمد» (٢٣٥٩٨)، و«صحيح البخاري» (٢٥٩٧، ٦٦٣٦)، و«صحيح مسلم» (١٨٣٢)، و«سنن أبي داود» (٢٩٤٦)، و«مسند البزار» (٣٧٠٧، ٣٧٠٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٣٩، ٢٣٨٢)، و«مسند أبي عوانة» (٧٠٥٨-٧٠٧٤)، و«صحيح ابن حبان» (٤٥١٥)، و«سنن البيهقي» (٤/ ١٥٨).

وصلَّى الظهر مرَّةً، فلما سلَّم قام على المنبر، فذكر الساعةَ، وذكر أن قبلها أمورًا عظامًا، ثم قال: «**مَن أحبَّ أن يسألني عن شيء فليسألني عنه، فو الله، لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، ما دمتُ في مقامي هذا**». فأكثر الناسُ البكاءَ، وأكثر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: «**سَلُوني**». فقام عبد الله بن حُذَافة رضي الله عنه، فقال: يا رسولَ الله، مَن أبي؟ قال: «**أبوك حذافة**». فلما أكثَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: «**سَلُوني**». بَرَكَ عمرُ، فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا. فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال عمر ذلك، ثم قال: «**أَوْلَى**(١٥٠)**، والذي نفسُ محمد بيده، لقد عُرِضت عليَّ الجنةُ والنارُ آنفًا في عُرْضِ هذا الحائط، فلم أَرَ كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمونَ ما أعلمُ؛ لضَحِكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**». فما أَتَى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومٌ أَشَدُّ منه، غَطَّوْا رؤوسَهُم ولهم خَنِين(١٥١).

وخطب بعد الظهر في اليوم الذي رُجِم فيه ماعز رضي الله عنه، فقال: «**أَوَ كلَّما نَفَرْنَا غَزاةً في سبيل الله، تخلَّف رجلٌ في عيالنا له نَبِيبٌ**(١٥٢) **كنبيب التَّيْسِ،**

---

(١٥٠) هي كلمة تهديد ووعيد، ومعناها: قرب منكم ما تكرهونه.

(١٥١) ينظر: «مسند أحمد» (١٠٥٣١، ١٢٠٤٤، ١٢٨٢٠)، و«صحيح البخاري» (٩٢، ٥٤٠، ٧٠٨٩)، و«الأدب المفرد» (١١٨٤)، و«صحيح مسلم» (٢٣٥٩)، و«مسند أبي يعلى» (٣١٣٤، ٣٦٨٩، ٣٦٩٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٦، ٦٢٤٥، ٦٤٢٩)، و«المستدرك» (٣/ ٦٣١)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٢/ ٤٨٨) (٢٢٢٩).

والخنين: رفع الصوت بالبكاء والنحيب.

(١٥٢) النبيب: صوت التيس عند الجماع.

يمنحُ إحدَاهُنَّ الكُثْبَةَ من اللبن[١٥٣]**، والله والله، لا أُوتى برجل فعل ذلك إلا نكَّلْتُ به**». ولم يستغفر له ولم يسبه[١٥٤].

وكأنَّ هذه الخطب تكون في الأمر العارض والشأن العاجل الذي لا يحتمل التأخير إلى يوم الجمعة.

ثم يعود صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته، فيصلِّي ركعتين هي راتبة الظهر[١٥٥].

ثم يخرج صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه[١٥٦].

وربما جلس لهم إلى العصر، كما حبس نفسه لوفد عبد قَيْس من صلاة الظهر إلى صلاة العصر[١٥٧].

وربما ذهب في هذا الوقت لقضاء بعض حاجات المسلمين؛ فقد بلغه أن أهل قُباءَ؛ بني عَمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، وأنهم اقتتلوا، حتى ترامَوْا بالحجارة، فصلَّى الظهر، ثم قال لأصحابه: «**اذهبوا بنا حتى نصلح بينهم**». وقال لبلال رضي الله عنه: «**إذا حضرت صلاة العصر، فمُرْ أبا بكر فليصلِّ بالناس**». فلما

(١٥٣) أي: القليل منه.

(١٥٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (٨٠١)، و«مسند أحمد» (٢٠٨٠٣، ٢٠٩٧٩)، و«مسند الدارمي» (٢٣١٦)، و«صحيح مسلم» (١٦٩٢، ١٦٩٤)، و«سنن أبي داود» (٤٤٢٢)، و«مسند أبي عوانة» (٦٢٦٩-٦٢٧٢)، و«صحيح ابن حبان» (٤٤٣٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩١٧، ٢٠٤٩)، و«سنن البيهقي» (٨/ ٢١٢، ٢٢٦، ٢٢٧).

(١٥٥) ينظر ما تقدم في صلاته أربع ركعات قبل الظهر.

(١٥٦) ينظر ما سيأتي في الركعتين بعد العصر.

(١٥٧)

حضرت العصر أَذَّنَ بلالٌ، فلما حانت الصلاة جاء إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حُبِس وحانت الصلاة، فهل لك أن تَؤُمَّ الناس؟ قال: نعم، إن شئت. فأقام بلال، وتقدَّم أبو بكر، فكبَّر وكبَّر الناسُ، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي في الصفوف، حتى قام في الصفِّ، فأخذَ الناسُ في التصفيق، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثرَ الناسُ التصفيقَ التفت، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب يتأخَّر، فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن امكث مكانك. فرفع أبو بكر يده، فحمد اللهَ، ورجع القَهْقَرَى وراءه، حتى قام في الصف، فتقدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصلَّى للناس، فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: «**يا أيها الناسُ، ما لكم حين نابكم شيءٌ في الصلاة أخذتم في التصفيق؛ إنما التصفيق للنساء، مَن نابه شيءٌ في صلاته فليقل: سبحان الله. فإنه لا يسمعه أحد حين يقول: سبحان الله. إلا التفت، يا أبا بكر، ما منعك أن تصلِّي بالناس حين أشرتُ إليك؟**». فقال أبو بكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلِّي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١٥٨).

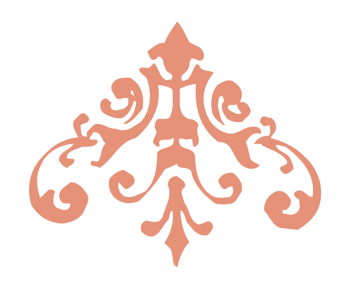
ومن ذلك ذهابه إلى الأَسْواف(١٥٩)، عند بنات سَعد بن الرَّبيع، يَقْسِم بينهن

(١٥٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٨٠١، ٢٢٨١٦)، و«صحيح البخاري» (١٢١٨، ٧١٩٠)، و«صحيح مسلم» (٤٢١)، و«سنن أبي داود» (٩٤٠، ٩٤١)، و«سنن النسائي» (٧٨٤، ٥٤١٣)، و«مسند أبي يعلى» (٧٥٤٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٨٥٣، ١٦٢٣)، و«مسند أبي عوانة» (٢٠٣٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٢٦٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٩٣٢)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٤٥)، (٣/ ١١٢، ١٢٢، ١٢٣).

(١٥٩) موضع بالمدينة شامي البقيع.

ميراثهن من أبيهن، وكُنَّ أولَ نسوة وَرِثنَ من أبيهن في الإسلام، فذهب إليهم ضحًى، فأُتِي بغَداء من خبز ولحم قد صُنع له، فأكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكل القومُ معه، ثم توضَّأ للظهر وتوضَّأ القوم معه، ثم صلَّى بهم الظهر، ثم قعد في ما بقي من قسمته لهنَّ حتى حضرتِ الصلاة وفرغ من أمره منهن، فردوا إليه فضل غَدائه من الخبز واللحم، فأكل وأكل القوم معه، ثم نهض فصلَّى بهم العصر، ولم يتوضأ، ولا أحد من القوم[١٦٠].

(١٦٠) ينظر: «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٥٢٤)، و«مسند أحمد» (١٤٧٩٨، ١٥٠٢٠)، و«سنن أبي داود» (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، و«جامع الترمذي» (٢٠٩٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٢٠)، و«مسند أبي يعلى» (٢٠٣٩)، و«سنن الدارقطني» (٤/ ٧٨)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٢١٦، ٢٢٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٩٧).



والعصر

وكان إذا أُذِّنَ لصلاة العصر، انتظر حتى يجتمع الناسُ لها، وكان يُرغِّب في صلاة أربع ركعات قبل العصر، ويقول: «**رحمَ اللهُ امرأً صلَّى قبل العصر أربعًا**»(١٦١).

فإذا اجتمعوا خرج فصلَّى العصرَ، وكان يصليها في أول وقتها والشمس حيَّة، حتى قال أنس رضي الله عنه: «ما كان أحدٌ أشد تعجُّلًا لصلاة العصر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(١٦٢). وكان يجعل قراءته فيها على النصف

---

(١٦١) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٠٤٨)، و«مسند أحمد» (٦٥٠، ١٣٧٥، ٥٩٨٠)، و«سنن أبي داود» (١٢٧١)، و«جامع الترمذي» (٤٢٩،٤٣٠، ٥٩٨)، و«سنن ابن ماجه» (١١٦١)، و«مسند البزار» (٦٧٣)، و«سنن النسائي» (٨٧٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٤٤، ٢٤٥٣)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٧٣)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٣٥).

(١٦٢) ينظر: «مسند الطيالسي» (٩٦٢)، و«مسند أحمد» (١٤٩٦٩، ١٩٧٦٧، ١٩٧٩٦، ١٩٨١١)، و«مسند الدارمي» (١٣٠٠)، و«صحيح البخاري» (٥٤١، ٥٩٩، ٥٦٠، ٥٦٥)، و«صحيح مسلم» (٦٤٦، ٦٤٧)، و«سنن أبي داود» (٣٩٧، ٣٩٨)، و«سنن النسائي» (٤٩٥، ٥٢٥، ٥٢٧)، و«مسند أبي يعلى» (٢١٠٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٢٣)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٢٨)، و«شرح معاني الآثار» (١/ ١٨٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٣٤، ٤٣٦)، و«الأحاديث المختارة» (١/ ٦٨) (١٠٥).

من صلاة الظهر[١٦٣].

فإذا فرغ من صلاته أقبل على أصحابه، فإن كان ثَمَّ حديثٌ يريد أن يحدِّثهم حدَّثهم، فقد أقبل عليهم مرة بعد انصرافه من صلاة العصر، فقال: «**ما أدري، أحدِّثكم بشيء أو أسكت!**». فقالوا يا رسولَ الله، إن كان خيرًا فحدِّثنا، وإن كان غير ذلك، فاللهُ ورسولُه أعلم. قال: «**ما من مسلم يتطهَّر، فيُتِمُّ الطَّهورَ الذي كُتب عليه، فيصلِّي هذه الصلوات الخمس، إلا كانت كفارات لما بينهن**»[١٦٤].

وصلَّى مَرَّةً العصرَ، ثم قام يحدِّثهم، فكان مما قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوُضوءَ، ثم يقولُ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؛ إِلَّا فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخلُ من أَيِّها شاء، وما من مسلم يتوضأ، فيُحسنُ وُضوءَه، ثم يقوم فيصلِّي ركعتين، مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إِلَّا وَجَبَتْ له الجنة**»[١٦٥].

وكان حديثُه إلى أصحابه بعد صلاة العصر قليلًا بالنسبة لصلاة الظهر؛ وذلك

---

(١٦٣) ينظر ما تقدم في قراءته في صلاة الظهر.

(١٦٤) ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٧٦٤٨)، و«صحيح مسلم» (٢٣١)، و«مسند أبي عوانة» (٦١٣)، و«شعب الإيمان» (٢٥٥٩).
وينظر أيضًا: «مسند أحمد» (٤٠٦)، و«صحيح البخاري» (١٦٠، ١٦٤)، و«صحيح مسلم» (٢٢٦).

(١٦٥) ينظر «مسند أحمد» (١٧٣٩٣)، و«صحيح مسلم» (٢٣٤)، و«سنن أبي داود» (١٦٩)، و«مسند الروياني» (٢٥١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٢٢، ٢٢٣، ٩٠٦)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٥٠)، و«مسند أبي عوانة» (٦٠٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٣٤٧) (٩٥٦)، و«المستدرك» (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ٧٨)، و«شعب الإيمان» (٢٤٩٨).

لكَلَالِ الناس، وحاجتهم إلى الانصراف لإكمال أعمالهم، وإعداد عَشائهم.

فإذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه، فيطوف عليهنَّ جميعًا، فيدنو من كل امرأة منهن في مجلسه، فيُقبِّل ويمس ما دون الوقاع، حتى ينتهي إلى التي هو يومها، فيبيت عندها[١٦٦].

وربما اجتمعن في بيت التي هو عندها، ولعل ذلك في أوقات قصر النهار، حيث لا يتسع وقت العصر لطوافه عليهن، فيجتمعن في بيت التي يأتيها.

ومن ذلك: أنهن اجتمعن مرة في بيت عائشة رضي الله عنها، وجاءت زينب رضي الله عنها، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مدَّ يده إليها، فقالت عائشة: هذه زينب! فكفَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يده. فتقاولتا، حتى علت أصواتهما، وأقيمت الصلاة، فمرَّ أبو بكر على ذلك، فسمع أصواتهما، فقال: اخرج يا رسولَ الله إلى الصلاة، واحْثُ في أفواههن الترابَ. فخرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت عائشة: الآن يقضي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم صلاته، فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل. فلما قضى النبيُّ صلاته أتاها أبو بكر، فقال لها قولًا شديدًا، وقال: أتصنعين هذا؟![١٦٧].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل بيته بعد صلاة العصر صلَّى ركعتين،

---

(١٦٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٧٦٥)، و«سنن أبي داود» (٢١٣٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني» (٢٤/ ٣١) (٨١)، و«المستدرك» (٢/ ١٨٦)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٧٤، ٣٠٠).

(١٦٧) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٠١٤، ١٣١٣٦، ١٣٤٩٠)، و«صحيح مسلم» (١٤٦٢)، و«مسند أبي يعلى» (٣٧٤٥، ٣٧٦٧)، و«مسند أبي عوانة» (٤٤٧٤)، و«مستخرج أبي نعيم» (٣٤٢٨).

مع أنه كان يَنْهَى عن الصلاة بعد العصر، وذلك أن وفد عبد القَيْس أَتَوْا إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام من قومهم، فشغلوه عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فقضاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلَّى صلاةً أثبتها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «والذي ذهب بنفسه، ما تركهما -أي الركعتين بعد العصر- حتى لقي الله عز وجل»[168]. وكان يقضي فترة بعد العصر غالبًا في بيته ومع نسائه.

وكما يجري في مجلسه مع زوجاته الأُنس الزوجي، تجري المذاكرة العلمية والأسئلة والاستشكال، ويتلقَّى ذلك رسولُ الله برَحابة صدر وحسن تلقٍّ، فها هي عائشة رضي الله عنها تسأله عن أشد ما لقي في دعوته وبلاغه وجهاده، فتقول: يا رسولَ الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فيقول: «**لقد لَقِيتُ من قومك، وكان أشد ما لَقِيتُ منهم يوم العَقَبة؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد يَاليلَ بن عبد كُلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أَسْتَفِقْ إلا بقَرْن الثَّعالب**[169]**، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن الله عزَّ وجلَّ قد سمع قولَ قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليكَ مَلَكَ الجبال؛ لتأمره بما شِئْتَ**

(١٦٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٩، ١٤٨٤)، و«مسند أحمد» (١١٨، ٩٩٥٣، ٢٤٢٣٥، ٢٥٣٥٩، ٢٦٥٦٠)، و«صحيح البخاري» (٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩٠-٥٩٣، ١٢٣٣، ١٦٣١)، و«صحيح مسلم» (٨٢٥، ٨٣٤، ٨٣٥)، و«جامع الترمذي» (١٨٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٢٧١، ١٢٧٦-١٢٧٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٤٣، ١٥٧٠، ١٥٧٣-١٥٧٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٦٢، ٤٥٢).

(١٦٩) ....

فيهم. قال: فناداني مَلَكُ الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ، إن اللهَ قد سمع قولَ قومك لك، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك؛ لتأمرني بأمرك، فما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ[170]**؟**». فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَن يعبدُ اللهَ وحده، لا يشرك به شيئا**»[171].

ويحدِّث زوجه عائشة رضي الله عنها قائلًا: «**مَن حُوسب يوم القيامة عُذِّبَ**». وكانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، فأوردت تساؤلًا واستشكالًا قائلة: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]. فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العَرْض، مَن نُوقِشَ الحسابَ يوم القيامة عُذِّبَ**»[172].

وحدَّث مرة زوجته حفصة رضي الله عنها قائلًا: «**إني لأرجو أَلَّا يدخل النارَ أحدٌ إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرًا والحديبية**». قالت: يا رسولَ الله، أليس قد قال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. قال:

---

(١٧٠)

(١٧١) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٢٣١)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٥)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٦٢٤)، و«مسند أبي عوانة» (٦٩٠٢-٦٩٠٤)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٦١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤١٧).

(١٧٢) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٢٠٠)، و«صحيح البخاري» (١٠٣، ٦٥٣٧)، و«صحيح مسلم» (٢٨٧٦)، و«سنن أبي داود» (٣٠٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (٧٣٦٩)، و«المستدرك» (١/ ٥٧).

«**ألم تسمعيه يقول:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾»[(١٧٣)] [مريم: ٧٢].

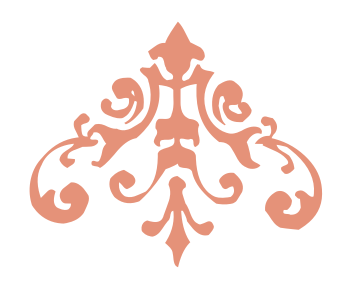
وما كانت هذه المراجعة بين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته لتتم لولا أنه استثار اليقظة العقلية، وفتح آفاق التفكير، وجعل المراجعة والتفاعل العقلي طريق القناعة واليقين.

وربما دعاه بعضُ أصحابه بعد صلاة العصر إلى الأمر يحبون أن يشهده معهم، فيجيبهم لذلك؛ فقد دعاه رجلٌ من بني سَلِمة بعد صلاة العصر، فقال: يا رسولَ الله، إنا نريد أن ننحرَ جزورًا لنا، ونحبُّ أن تحضرها. وهذه من مناسبات السرور؛ لقلة اللحم عندهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**نعم**». فانطلق، وانطلق معه بعض أصحابه، فوجدوا الجزورَ لم تنحر فنُحرت، ثم قُطِّعت، ثم طُبخ منها، فأكلوا قبل أن تغيب الشمس[(١٧٤)].

---

(١٧٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٧٠٤٢، ٢٧٣٦٢)، و«صحيح مسلم» (٢٤٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٨١)، و«الآحاد والمثاني» (٣٣١٦)، و«مسند أبي يعلى» (٧٠٤٤)، و«صحيح ابن حبان» (٤٨٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٢٠٦، ٢٠٨) (٣٥٨، ٣٦٣)، (٢٥/ ١٠٢، ١٠٣) (٢٦٦، ٢٦٩)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٣٤٤).

(١٧٤) ينظر: «صحيح مسلم» (٦٢٤)، و«مسند أبي عوانة» (١٠٣٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٥١٦)، و«سنن الدارقطني» (١/ ٢٥٥)، و«مستخرج أبي نعيم» (١٣٩٢)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٤٢).



بعد الغروب

فإذا أَذَّنَ المغربُ لم يلبث إلا قليلًا، ثم يخرج إلى الصلاة، فإذا خرج وجد أصحابَه قد ابتدروا السَّواري يصلُّون ركعتين قبل المغرب؛ حيث كان يرغِّب فيها ويقول: «**صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب**». ثم قال في الثالثة: «**لمَن شاء**». وهما ركعتان خفيفتان؛ حيث لم يكن بين أذان المغرب وإقامتها إلا وقت قليل(١٧٥).

فإذا خرج أقيمت الصلاة فصلَّى المغرب، وكان يصلِّي المغرب في أول وقتها، وينصرف فيها قبل حلول الظلام، بحيث يخرج الرجل ولو رمى لرأى مواقع

---

(١٧٥) ينظر: «مسند الطيالسي» (٧٢٢)، و«مسند أحمد» (١٣٩٨٣، ٢٠٥٥٢)، و«صحيح البخاري» (٥٠٣، ٦٢٥، ١١٨٣، ٧٣٦٨)، و«صحيح مسلم» (٨٣٧)، و«سنن أبي داود» (١٢٨١)، و«سنن النسائي» (٦٨٢)، و«مسند الروياني» (٨٩٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٢٨٨، ١٢٨٩)، و«شرح مشكل الآثار» (٥٤٩٤)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٨٨، ١٥٨٩)، و«سنن الدارقطني» (١/ ٢٦٥، ٢٦٧)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٩، ٤٧٤، ٤٧٥).

نبله؛ لانتشار الضياء[١٧٦].

وكانت صلاته وقراءته فيها قصيرة غالبًا، وربما أطال القراءة أحيانًا؛ فقد قرأ مرة (سورة الأعراف)، وقرأ مرة (سورة الطور)، وقرأ مرة (سورة المرسلات)[١٧٧].

ولم يكن يتحدَّث بعدها كما يتحدَّث في أعقاب الصلوات؛ وذلك لحاجة الناس إلى الانصراف إلى عَشائهم وراحتهم.

فإذا صلَّى المغرب عاد إلى بيته فصلَّى فيه ركعتين، سنةَ المغرب[١٧٨]، ثم تعشَّى، وهذا هو وقت العَشاء غالبًا، وربما قدَّموه قبل صلاة المغرب إذا كانوا صيامًا؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا قُدِّم العشاء، فابدؤا به قبل أن تصلُّوا صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عَشائكم»**[١٧٩].

---

(١٧٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٢١٣٦، ١٧٢٧٥)، و«صحيح البخاري» (٥٥٩)، و«صحيح مسلم» (٦٣٧)، و«سنن أبي داود» (٤١٦)، و«سنن ابن ماجه» (٦٨٧)، و«مسند أبي يعلى» (٣٣٠٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٣٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٥١٥)، و«المستدرك» (١/ ١٩٢)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٧٠).

(١٧٧) ينظر: «مسند أحمد» (٧٩٩١، ٨٣٦٦، ١٠٨٨٢)، و«صحيح البخاري» (٧٦٣-٧٦٥)، و«صحيح مسلم» (٤٦٢، ٤٦٣)، و«سنن أبي داود» (٨١٠-٨١٢)، و«جامع الترمذي» (٣٠٨)، و«سنن ابن ماجه» (٨٣١، ٨٣٢)، و«سنن النسائي» (٩٨٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٥١٤-٥٢٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٣٢-١٨٣٧)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٨٨، ٣٩٢).

(١٧٨) ينظر ما تقدم في أربع ركعات قبل الظهر.

(١٧٩) ينظر: «مسند أحمد» (٥٨٠٦، ٢٤٢٤٦)، و«صحيح البخاري» (٦٧٢)، و«صحيح مسلم» (٥٥٧-٥٥٩)، و«جامع الترمذي» (٣٥٣)، و«سنن ابن ماجه» (٩٣٣)، و«سنن النسائي» (٨٥٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٩٣٤، ٩٣٥، ١٦٥١)، و«مسند أبي عوانة» (١٢٨٦-١٢٩٠)، و«صحيح ابن حبان» (٥٢٠٩)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٧٣).

وكان يأمر أصحابَه أن يأخذوا معهم إلى عَشائهم فقراء المسلمين، فيقول: «**مَن كان عنده طعام اثنين، فليأخذ ثالثًا، ومَن كان عنده طعام ثلاثة، فليأخذ رابعًا**»(١٨٠).

وربما أخذ صلى الله عليه وآله وسلم عشرة فذهب بهم إلى بيته، ليتعشَّى معهم، إذا كان عنده وَفْر طعام، وربما انقلب إلى بيته فلا يجد فيه ما يأكله إلا التمر والماء، وربما مرَّت به أيام لا يكون في بيته ما يأكله ذو كبد رَطْبة(١٨١).

وكان طعامُه يوضع على الأرض في السُّفْرة، وما أكل صلى الله عليه وآله وسلم على خُِوانٍ قط(١٨٢).

فإذا قُرِّب طعامُه قال: «**بسم الله**». وأَكَلَ مما يليه، ولم تعد أصابعه ما بين

(١٨٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٠٤، ١٧١٢، ١٧١٣)، و«صحيح البخاري» (٦٠٢، ٣٥٨١)، و«صحيح مسلم» (٢٠٥٧)، و«مسند البزار» (٢٢٦٣)، و«مسند أبي عوانة» (٨٣٩٨)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (٤٩٨)، و«دلائل البنوة» للبيهقي (٦/ ١٠٣).

(١٨١) ينظر: «مسند أحمد» (٩٢٤٩، ١٢٢١٢، ٢٤٢٣٢، ٢٤٥٦١)، و«صحيح البخاري» (٢٥٦٧، ٣٠٩٧، ٥٣٨٣، ٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٩٧٢-٢٩٧٥)، و«جامع الترمذي» (٢٤٧٢، ٣٣٥٦)، و«سنن ابن ماجه» (١٥١، ٤١٤٤، ٤١٤٥)، و«صحيح ابن حبان» (٦٨٣، ٥٨٠٥)، و«المستدرك» (٤/ ١٠٥)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٤٧)، وما تقدم في الحديث الذي قبله: «**من كان عنده طعام اثنين...**».

(١٨٢) ينظر: «الزهد» لهناد (٢٠)، و«الزهد» لأحمد (ص١٤)، و«مسند أحمد» (١٢٣٢٥)، و«صحيح البخاري» (٥٣٨٦)، و«جامع الترمذي» (٢٣٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (٣٢٩٢)، و«مسند أبي يعلى» (٣٠١٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦٦٣٤)، و«شعب الإيمان» (١٣٨٤، ٨١٩٢، ٨١٩٣).

والخوان: ما يؤكل عليه الطعام من منضدة ونحوها، والسفرة هي: الإناء الذي يوضع فيه الطعام.

يديه، فيأكل بثلاثة أصابع، ويأمر بالأكل من جوانب الصَّحْفة، وأن تُترك ذِروتها[١٨٣].

ولم يكن يتكلَّف في طعامه، وإنما يأكل ما تيسر، ويسأل أهله: «**هل عندكم شيء**». فربما قالوا: ما عندنا شيء. وربما قالوا: ما عندنا إلا الخل. فيقول: «**نِعْمَ الإدام الخل**». وما عاب طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإلَّا تركه[١٨٤].

وإذا جلس على الطعام مع أصحابه لم يخل جلوسه من حديث يُؤنِس به، أو أَدَبٍ يُرَبِّي به، أو عِلْمٍ ينشره.

ومن ذلك: أن عُمر بن أبي سَلَمة رضي الله عنه كان صبيًّا يتربَّى في حِجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو ابن زوجه أم سلمة رضي الله عنها،

---

(١٨٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٥٩٥، ١٧٦٧٨، ١٨٩٧٠، ٢٣١٨٤، ٢٧١٦٧، ٢٧١٦٩)، و«مسند الدارمي» (٢٠٣٣)، و«صحيح مسلم» (٢٠٣١-٢٠٣٥)، و«سنن أبي داود» (٣٧٧٣، ٣٨٤٨)، و«سنن ابن ماجه» (٣٢٧٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦٨٩٨)، و«مسند أبي عوانة» (٨٢٦٤-٨٢٨٥)، و«صحيح ابن حبان» (٥٢٥١-٥٢٥٣)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٤٦٤)، و«الآداب» للبيهقي (٤٤٠)، و«شعب الإيمان» (٥٤٦١)، وما تقدم في أكله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه في الضحى، وما سيأتي في لعق الأصابع والذكر بعد الطعام.

وذروة الصحفة: أعلاها.

(١٨٤) ينظر: «مسند أحمد» (٩٥٠٧، ١٠٤٢١، ١٤٢٢٥، ١٥١٩١)، و«الزهد» لأحمد (ص١٠)، و«مسند الدارمي» (٢٠٤٨)، و«صحيح مسلم» (٢٠٥١، ٢٠٥٢، ٢٠٦٤)، و«سنن أبي داود» (٣٨٢٠)، و«جامع الترمذي» (١٨٣٩)، و«مسند أبي عوانة» (٨٤٣٦-٨٤٤٤)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٦٩٣٤)، و«المعجم الصغير» (٩٥١)، و«الآداب» للبيهقي (٤٢٤)، و«شعب الإيمان» (٥٤٧٩، ٥٥٤٥)، وما تقدم في دخوله صلى الله عليه وآله وسلم على نسائه في الصباح.

وكان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت يده تَطِيش في الصَّحْفَة[١٨٥]، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا غلامُ، سمِّ الله، وكُلْ بيمينِك، وكُلْ مما يليك**». قال عُمر رضي الله عنه: فما زالت تلك طِعْمَتي بعدُ[١٨٦].

ووُضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَصْعَةٌ من ثَرِيد ولَحْم، فتناولَ الذِّراعَ، وكانت أحبَّ الشَّاة إليه، فنَهَسَ نَهْسَةً[١٨٧]، فقال: «**أنا سيِّدُ الناس يوم القيامة**». ثم نَهَسَ أخرى، فقال: «**أنا سيِّدُ الناس يوم القيامة**». فلما رأى أصحابَه لا يسألونه قال: «**ألا تقولون: كَيْفَهْ؟**». قالوا: كَيْفَهْ يا رسولَ الله. قال: «**يقومُ الناسُ لرب العالمين**»[١٨٨].

وكان إذا فرغ من طعامه لَعَقَ أصابعه، وكان يأمر بلَعْق الصَّحْفَة، ويقول: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**»[١٨٩].

---

(١٨٥) أي: تتحرك، فتميل إلى نواحي القصعة، ولا تقتصر على موضع واحد.

(١٨٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٣٣٢)، و«صحيح البخاري» (٥٣٧٦)، و«صحيح مسلم» (٢٠٢٢)، و«سنن ابن ماجه» (٣٢٦٧)، و«مسند أبي عوانة» (٨٢٥٣-٨٢٥٧)، و«الآداب» للبيهقي (٣٩٩)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٧٧).

(١٨٧) النَّهْس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان. والنَّهْش: الأخذ بجميعها.

(١٨٨) ينظر: «مسند أحمد» (٩٦٢٣)، و«صحيح البخاري» (٣٣٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٩٤)، و«جامع الترمذي» (٢٤٣٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٣٠٧)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٨١١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٢٨٦)، و«مسند أبي عوانة» (٤٣٧).

(١٨٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٨١٥، ١٤٠٨٩)، و«جامع الترمذي» (١٨٠٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦٧٦٦)، و«مسند أبي يعلى» (٣٣٧٧)، وما تقدم في التسمية على الطعام.

فإذا رفعت مائدتُه قال: «**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي كفانا وأَرْوَانا، غير مَكْفِيٍّ، ولا مَكْفُورٍ، ولا مُوَدَّعٍ، ولا مُسْتَغْنًى عنه ربَّنَا، اللهمَّ إنك أَطْعَمْتَ وأَسْقيتَ وأَغْنيتَ وأَقْنَيتَ وهَدَيْتَ وأَحْييتَ، اللهمَّ فلك الحمدُ على ما أعطيتَ**»(١٩٠).

وكان يغسل فمه بعد الطعام، وإذا شرب لبنًا غسل فمه، وقال: «**إن له دَسَمًا**»(١٩١).

وكان إذا تعشَّى شرب على عَشائه من نَبِيذ(١٩٢) نُبذ له من الصباح، كما أنه إذا تغدَّى في الصباح شرب على غَدائه من نَبيذ نُبِذَ له من العشاء(١٩٣).

(١٩٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٥٩٥، ١٨٠٧١، ١٨٩٧٠، ٢٢١٦٨)، و«مسند الدارمي» (٢٠٢٣)، و«صحيح البخاري» (٥٤٥٨، ٥٤٥٩)، و«سنن أبي داود» (٣٨٤٩)، و«جامع الترمذي» (٣٤٥٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٢٨٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠١١٥)، و«صحيح ابن حبان» (٥٢١٧، ٥٢١٨)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٤٨٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٣٧٢)، و«المستدرك» (٤/ ١٣٦)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٨٦)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٥٠٣)، وما تقدم في التسمية على الطعام.

(١٩١) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٥١، ٣١٢٣)، و«صحيح البخاري» (٢١١، ٥٦٠٩)، و«صحيح مسلم» (٣٥٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٦)، و«جامع الترمذي» (٨٩)، و«سنن النسائي» (١٨٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤٧)، و«صحيح ابن حبان» (١١٥٨)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٦٠٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٥٩).

(١٩٢) تقدم.

(١٩٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٨٣٧، ٢٨٣٨)، و«مسند أحمد» (٢٠٦٨، ٢١٤٣)، و«الأشربة» لأحمد (١٦)، و«صحيح مسلم» (١٩٩٩، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥)، و«سنن أبي داود» (٣٧٠٢، ٣٧١١-٣٧١٣)، و«سنن ابن ماجه» (٣٣٩٩)، و«صحيح ابن حبان» (٥٣٨٤-٥٣٨٦)، و«سنن البيهقي» (٨/ ٣٠٠).

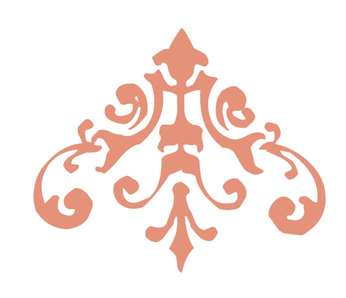
وإن أكل معه بعضُ زوجاته آنسها على الطعام، فهو القائل: «**حتَّى اللقمةَ ترفعها إلى فم امرأتك صدقة**»(١٩٤).

ومن ذلك: ما أخبرت به عائشةُ رضي الله عنها قالت: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوني فآكل معه وأنا حائض، وكان يأخذ العَرْقَ -وهو العظم عليه شيء من اللحم- فيُقْسِمُ عليَّ فيه، فأَعْتَرِقُ منه، ثم أضعه، فيأخذُه فيعترقُ منه، ويضعُ فمه حيث وضعتُ فمي من العَرْق، ويدعُو بالشراب، فيُقْسِمُ عليَّ فيه من قبل أن يشرب منه، فآخذه فأشرب منه، ثم أضعه، فيأخذه فيشربُ منه، ويضعُ فمه حيث وضعتُ فمي من القدح»(١٩٥).

ويا لله كم من رسالة حب عَبِقة تصل إلى قلب الزوجة المحبوبة من الزوج المحب بمثل هذا الإيناس المُبْهِج، وكيف سيتحوَّل الطعام بذلك إلى غذاء للحب، كما هو غذاء للجسد!

(١٩٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٩٣)، و«مسند أحمد» (١٤٨٠، ١٥٤٦)، و«صحيح البخاري» (٢٧٤٢)، و«صحيح مسلم» (١٦٢٨)، و«سنن أبي داود» (٢٨٦٤)، و«جامع الترمذي» (٢١١٦)، و«صحيح ابن حبان» (٤٢٤٩)، و«سنن البيهقي» (٦/ ٢٦٨).

(١٩٥) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٦١٧)، و«مسند أحمد» (٢٤٣٢٨، ٢٤٩٥٤)، و«صحيح مسلم» (٣٠٠)، و«سنن أبي داود» (٢٥٩)، و«سنن ابن ماجه» (٦٤٣)، و«سنن النسائي» (٢٧٩، ٣٧٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٢٩٣، ١٣٦٠).



صلاة العشاء

ويبقى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته إلى أذان العشاء، ولم يكن يُعَجِّل بصلاة العشاء، وإنما ينتظر، فإن رآهم اجتمعوا عَجَّل، وإن رآهم تأخروا أَخَّر، وكان يحب تأخيرها، لولا خوف المشقة على الناس(١٩٦).

وقد أَخَّرها مرةً، فجاء عمرُ إليه، فناداه: يا رسولَ الله، رقد النساءُ والولدان. فخرج ورأسه يقطر، وهو يمسح الماء عن شقه، ويقول: «**إنه للوقت، لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة**»(١٩٧).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أخفَّ الناس صلاة في تمَام، وقال أنس رضي

---

(١٩٦) ينظر: «مسند أحمد» (٤٨٢٦، ٥٦٩٢، ٩٥٩١، ١٤٩٦٩)، و«صحيح البخاري» (٥٦٠، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٩)، و«صحيح مسلم» (٦٣٨، ٦٤٦)، و«سنن أبي داود» (٤٦، ٣٩٧)، و«سنن ابن ماجه» (٦٩٠، ٦٩١)، و«سنن النسائي» (٥٢٧)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٣١، ١٥٣٨-١٥٤٠)، و«المستدرك» (١/ ١٤٦)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٣٤، ٤٤٩)، وما تقدم في أوقات الصلوات الأخرى، وما سيأتي في تأخير صلاة العشاء.

(١٩٧) ينظر: «مسند الحميدي» (٤٩٢)، و«صحيح البخاري» (٧٢٣٩)، و«صحيح مسلم» (٦٣٩)، و«مسند البزار» (٤٩٥٣)، و«سنن النسائي» (٥٣٢)، و«مسند أبي يعلى» (٢٣٩٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٤٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٣٣).

الله عنه: «ما صليتُ وراء إمام قطُّ أخفَّ صلاة، ولا أتمَّ صلاة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١٩٨].

وكان يسمع بكاء الصبي مع أمه، وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة القصيرة؛ كراهية أن يشق على أمه، ويقول: «**إني لأدخل في الصلاة، أريد إطالتها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ، فأتجوَّزُ في الصلاة؛ مما أعلمُ من شدة وَجْدِ أمه من بكائه**»[١٩٩].

فإذا قضى صلاة العشاء تحدَّث إلى أصحابه، إن كان ثَمَّةَ عارض يريد أن يحدِّثهم به.

ومن ذلك: أنه صلَّى ذات ليلة العشاء في آخر حياته، فلما سلَّم قام فقال: «**أَرَأَيْتَكُمْ ليلتكم هذه، فإنَّ على رأس مائة سنة منها لا يَبْقَى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»[٢٠٠].

---

(١٩٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢١٠٩)، و«مسند أحمد» (١٢٧٣٤، ١٤٦٥٥)، و«مسند الدارمي» (١٢٦٠)، و«صحيح مسلم» (٤٦٩)، و«جامع الترمذي» (٢٣٧)، و«سنن النسائي» (٨٢٤)، و«مسند أبي يعلى» (٢٨٥٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٠٤)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٥٦)، و«المستدرك» (١/ ٢١٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٣٢)، (٣/ ١١٥).

(١٩٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٠٦٧، ١٢٥٤٧، ١٣٤٤٥)، و«صحيح البخاري» (٧٠٧-٧١٠)، و«صحيح مسلم» (٤٧٠)، و«سنن أبي داود» (٧٨٩)، و«جامع الترمذي» (٣٧٦)، و«سنن ابن ماجه» (٩٨٩-٩٩١)، و«سنن النسائي» (٨٢٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٠٩، ١٦١٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٨٦، ٢١٣٩)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٨٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٩٣)، (٣/ ١١٨).

(٢٠٠) ينظر: «مسند أحمد» (٥٦١٧، ٦٠٢٨)، و«صحيح البخاري» (١١٦، ٥٦٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٣٧)، و«سنن أبي داود» (٤٣٤٨)، و«جامع الترمذي» (٢٢٥١)، و«صحيح ابن حبان» (٢٩٨٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٥٣).

وأخَّر مرةً صلاة العشاء، ثم صلَّى بأصحابه، ثم خطبهم، فقال: «**ألَا إنَّ الناسَ قد صلَّوا ثم رَقَدُوا، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة**»[٢٠١].

وأَعْتَم مرة بصلاة العشاء، حتى ابْهَارَّ الليلُ، ثم خرجَ صلى الله عليه وآله وسلم فصلَّى بهم، فلما قضى صلاته قال لَمَن حضره: «**على رِسْلِكُم، أبشروا، إنَّ من نعمة الله عليكم أنه ليس أحدٌ من الناس يصلِّي هذه الساعة غيرُكم**». فانقلب أصحابُه إلى دورهم فرحين ببشرى رسول الله لهم[٢٠٢].

وكان حديثُه بعد صلاة العشاء نادرًا وقصيرًا؛ لتعب الناس وحاجتهم للنوم؛ ولذا كان يكره الحديث بعدها[٢٠٣].

وكان إذا سلَّم مكث في مكانه حتى ينصرف النساءُ، فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا قام رسولُ الله صلى

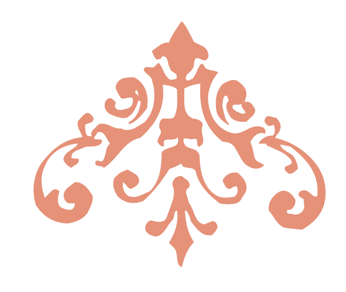
(٢٠١) ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٤٠٧٤)، و«مسند أحمد» (١٢٨٨٠، ١٤٧٤٣)، و«صحيح البخاري» (٨٤٧)، و«صحيح مسلم» (٦٤٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٥٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٣٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٧٤)، (٣/ ٦٥).

(٢٠٢) ينظر: «مسند أحمد» (٣٧٦٠، ٥٦١١، ٦٠٩٧، ٢٤٠٥٩)، و«صحيح البخاري» (٥٦٧، ٥٧٠، ٣٧٦٠)، و«صحيح مسلم» (٦٣٩، ٦٤١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٧٣)، و«صحيح ابن حبان» (١٥٣٠)، وما تقدم في تعجيله صلاة العشاء.

(٢٠٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (٩٦٢)، و«مسند أحمد» (٣٦٨٦، ١٩٧٨١)، و«صحيح البخاري» (٥٦٨، ٥٩٩، ٧٧١)، و«صحيح مسلم» (٦٤٧)، و«سنن أبي داود» (٤٨٤٩)، و«سنن ابن ماجه» (٧٠١)، و«تعظيم قدر الصلاة» (١٠٨)، و«سنن النسائي» (٤٩٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٣٣٩)، و«مسند أبي عوانة» (١٠٧٩).

الله عليه وآله وسلم قام الرجال[٢٠٤].

(٢٠٤) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٧٠٩)، و«مسند أحمد» (٢٦٥٤١)، و«صحيح البخاري» (٨٤٩، ٨٥٠، ٨٧٠)، و«سنن أبي داود» (١٠٤٠)، و«سنن ابن ماجه» (٩٣٢)، و«سنن النسائي» (١٣٣٢)، و«مسند أبي يعلى» (٧٠١٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٧١٨، ١٧١٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٣٥٥) (٨٣٢)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، و«شرح السنة» للبغوي (٧٠٨).



ليالي الرسول
صلى اللّٰه عليه وآله وسلم

ثم يرجع إلى بيته فيصلِّي ركعتين راتبة العشاء[٢٠٥]، ثم يجلس سُوَيْعَةً يتحدَّث مع أهله يؤانسهم ويسمُر معهم قبل أن ينام، وربما ذهب يسمُر عند بعض أصحابه، فيسمرُ عند الأنصار في بعض الليالي، ويسمر مع أبي بكر وعمر في بيت أبي بكر، فيتحدَّثون في أمر المسلمين، فإذا خرج سارا معه يتمتعان بصحبته صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق حتى يدخلا معه المسجد[٢٠٦].

وربما مرَّ في طريقه بقارئ حسن الصوت من أصحابه يقوم بالقرآن، فيقف مستَمِعًا لهذه القراءة الحسنة، كما مرَّ بأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ليلةً،

(٢٠٥) ينظر ما تقدم في أربع ركعات قبل الظهر.

(٢٠٦) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٢٥٦)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٦٦٨٩)، و«مسند أحمد» (١٧٥، ١٧٨، ٤٣٤٠)، و«صحيح البخاري» (٤٥٦٩)، و«صحيح مسلم» (٧٦٣، ٢٠٥٥)، و«جامع الترمذي» (١٦٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٢٥٦)، و«مسند أبي يعلى» (١٩٤، ١٥١٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥٦، ١٣٤١)، و«مسند أبي عوانة» (١٠٨٦)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٣٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٤٢٠، ٨٤٢٢، ١٢١٨٤)، (٢٠/ ٢٤٢) (٥٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٨٥)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٣٢)، وما سيأتي في دخوله المسجد وابن مسعود رضي الله عنه قائم يصلي.

فوقف يَستَمِع إليه، فلما أصبح لقيه، فقال له: «**يا أبا موسى، لو رأيتَنِي وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيتَ مِزْمَارًا من مَزَامير آل داود**»[٢٠٧].

ودخل المسجدَ ليلةً، فإذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قائم يصلِّي، يرتِّل سورةَ النساء، فقام صلى الله عليه وآله وسلم يستَمِع لقراءته، ثم قال لأبي بكر وعمر: «**مَن سرَّه أن يقرأَ القرآنَ رَطْبًا كما أُنزل، فليقرَأْهُ على قراءة ابن أم عَبْدٍ**»[٢٠٨].

فإذا دخل المسجدَ سلَّم تسليمًا يُسْمِعُ اليقظانَ، ولا يُوقِظُ النائمَ؛ حيث لا يخلو المسجد من فقراء المسلمين الذين ينامون فيه، ثم يصلِّي في المسجد قبل أن يدخل بيته[٢٠٩].

---

(٢٠٧) ينظر: «فضائل القرآن» لأبي عُبيد (١٨٨)، و«مسند أحمد» (٨٦٤٦، ٢٣٠٣٣، ٢٤٠٩٧)، و«صحيح البخاري» (٥٠٤٨)، و«صحيح مسلم» (٧٩٣)، و«صحيح ابن حبان» (٧١٩٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٣١٨)، و«سنن البيهقي» (٣/ ١٢) (١٠/ ٢٣٠)، و«سرح السنة» للبغوي (١٢١٩).
والمقصود بالمزامير: ......

(٢٠٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٣٣٢)، و«فضائل القرآن» لأبي عُبيد (٦٧٨)، و«مسند أحمد» (٣٥، ١٧٥، ٤٣٤٠، ١٨٤٥٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٨)، و«مسند أبي يعلى» (١٦، ١٧، ١٩٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥٦)، و«صحيح ابن حيان» (٧٠٦٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٤٢٠)، و«المستدرك» (٢/ ٢٢٧)، و«سنن البيهقي» (١/ ٤٥٢)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٣٢)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (١/ ١٢، ١٣، ١٥٨) (١٣، ١٤، ٢٦٨)، وما تقدم في سمره صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢٠٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٢٥٦)، و«مسند أحمد» (٢٣٨٠٩، ٢٧١٨٣)، و«الأدب المفرد» (١٠٢٨)، و«صحيح مسلم» (٢٠٥٥)، و«جامع الترمذي» (٢٧١٩، ٢٩٨٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ٢٤٢) (٥٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٨٥).

فإذا دخل بيته، وأراد أن ينام تخفَّف من ثيابه، فأخذ خِرْقَة توضع عند رأس فراشه، فاتَّزر بها، وخلع ثوبيه فعلَّقهما، ثم دخل مع زوجته في لحافها، وكان فراشه من جلد حشوه ليف، وله وسادة من جلد حشوها ليف يتوسَّدها هو وزوجته[٢١٠].

فإذا أراد أن ينام وضع سواكه عند رأسه؛ ليستاك به إذا استيقظ، وكان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا بدأ بالسواك[٢١١].

وكان إذا استاك أَعْطَى سواكه عائشةَ رضي الله عنها لتغسله، فتبدأ به فتستاك لتصيب أثر ريقه الطيب المبارك، ثم تغسله وتدفعه إليه[٢١٢].

فكان سواكه نظيفًا وقريبًا منه، يتعاهد به فمه الطَّيِّب المُطَيَّب تعاهدًا شديدًا، حتى خَشِي على أسنانه أن تقع لشدة ما أحفاها بالسواك[٢١٣].

---

(٢١٠) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٣)، و«مسند أحمد» (٢٥٧٢، ٣٤٩٠)، و«الزهد» لهناد (٧٤١)، و«الأدب المفرد» (١١٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٩، ٢٠٨٢)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٥١)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٦٥٠)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٤٦٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٣٣٧).

(٢١١) ينظر: «مسند الطيالسي» (٤٠٩)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٧٩١)، و«مسند أحمد» (٢٤٨٨، ٥٩٧٩، ٢٣٣١٣، ٢٤٩٠٠)، و«صحيح البخاري» (٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥)، و«سنن أبي داود» (٥٧)، و«التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا (٢٠٣)، و«مسند أبي يعلى» (٥٧٤٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٣٦)، و«صحيح ابن حبان» (١٠٧٢).

(٢١٢) ينظر: «سنن أبي داود» (٥٢)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٩)، و«شرح السنة» للبغوي (٢٠٤).

(٢١٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٠٠٧، ٢٢٢٦٩)، و«سنن ابن ماجه» (٢٨٩)، و«مسند الروياني» (١٢٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٨٤٧)، (٢٢/ ٧٦) (١٨٩)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٤٩).

وكأن ذلك ليطيِّب فمه الذي يناجي به ملائكةَ ربِّه، كما كان ينحِّي عنه البقولَ والخضراوات ذوات الرائحة، ويقول: «**ليس بمُحَرَّمٍ، ولكني أستحي من ملائكة الله، إني أناجي مَن لا تناجي**»(٢١٤).

ولذا حافظ على السواك، فيبدأ به كلَّما استيقظ، ويقرِّبه عند رأسه إذا أراد أن ينام.

وإذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمدُ لله الذي أَطْعَمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له ولا مُؤْوِي، الحمد لله الذي مَنَّ عَلَيَّ فأَفْضَل، والذي أعطاني فأَجْزَل، الحمد لله على كل حال، اللهمَّ ربَّ كلِّ شيء، ومالكَ كلِّ شيء، لك كلُّ شيء، أعوذ بك من النار**»(٢١٥).

ثم يجمع كفيه المباركتين، فينفث فيهما، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، ثم يمسح بها رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده ثلاث

---

(٢١٤) ينظر: «صحيح البخاري» (٨٥٥)، و«صحيح مسلم» (٥٦٤)، و«سنن أبي داود» (٣٨٢٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٧٠)، و«صحيح ابن حبان» (٢٠٩٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٩٩٦، ٤٠٧٧)، و«المستدرك» (٤/ ١٣٥)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٧٦).

(٢١٥) ينظر: «مسند أحمد» (٥٩٨٣، ١٢٥٥٢)، و«ومسند عبد بن حميد» (١٣٣٥، ١٣٥١)، و«صحيح مسلم» (٢٧١٥)، و«سنن أبي داود» (٥٠٥٣، ٥٠٥٨)، و«جامع الترمذي» (٣٣٩٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٣٥٢٣، ٥٧٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٣٨، ٥٥٤٠)، و«الدعاء» للطبراني (٨٩٤)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٩٧، ٣٩٩).

مرات[٢١٦].

فإذا اضطجع اضطجع على شِقِّه الأَيمن، ووضع يده تحت خَدِّه، وقال: «**اللهمَّ باسمك أحيا، وباسمك أموت، اللهمَّ قِنِي عذابك يومَ تبعثُ عبادَك**»[٢١٧].

وله صلى الله عليه وآله وسلم أذكار يقولها عند نومه، **فمنها:**

«**اللهمَّ ربَّ السماوات، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، فالقَ الحبِّ والنَّوى، ومنزِلَ التوراةِ والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، اللهمَّ أنت الأولُ، فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخرُ، فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهرُ، فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ، فليس دونك شيءٌ، اقضِ عنَّا الدينَ، وأَغْنِنا من الفقر**»[٢١٨].

«**بسم الله وضعتُ جنبي، اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي، واخْسَأْ شيطاني، وفُكَّ رِهاني،**

---

(٢١٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٨٥٣)، و«صحيح البخاري» (٥٠١٧)، و«صحيح مسلم» (٢١٩٢)، و«سنن أبي داود» (٥٠٥٦)، و«جامع الترمذي» (٣٤٠٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦٢٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٤٤)، و«الدعاء» للطبراني (٢٧٣)، و«أخلاق النبي ×» لأبي الشيخ (٤٧٧)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٠٨).

(٢١٧) ينظر: «مسند أحمد» (٣٧٩٦، ١٨٤٧٢، ١٨٦٠٣، ٢٣٢٨٦)، و«صحيح البخاري» (٦٣١٢، ٦٣١٥، ٦٣٢٤، ٧٣٩٤)، و«الأدب المفرد» (١٢٠٥، ١٢١٥)، و«صحيح مسلم» (٢٧١١)، و«سنن أبي داود» (٥٠٤٩)، و«جامع الترمذي» (٣٣٩٨، ٣٤١٧)، و«مسند أبي يعلى» (١٧١١)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٣٢، ٥٥٣٩)، و«الدعاء» للطبراني (٢٤٧-٢٥١، ٢٥٩)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢).

(٢١٨) ينظر: «مسند أحمد» (٨٩٦٠، ٩٢٤٧، ١٠٩٢٤)، و«الأدب المفرد» (١٢١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٧١٣)، و«سنن أبي داود» (٥٠٥١)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٧٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٦٦٨)، و«الدعاء» للطبراني (٢٦١).

وثَقِّل ميزاني، واجعلني في النَّديِّ الأعلى»[٢١٩].

«اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أمري إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ، رغبةً ورهبةً إليكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا منكَ إِلَّا إليكَ، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيكَ الذي أرسلتَ»[٢٢٠].

وربما قرأ سورًا من القرآن، فيقرأ أحيانًا ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، وأحيانًا (سورة الزمر)، و(الإسراء)[٢٢١].

ثم يؤانسُ زوجتَه بالحديث معها سُويعة، ولك أن تتخيَّل هذه النجوى بين

---

(٢١٩) ينظر: «سنن أبي داود» (٥٠٥٤)، و«الآحاد والمثاني» (٢٨٧٨)، و«شرح مشكل الآثار» (١١٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٢٩٨) (٧٥٨، ٧٥٩)، و«مسند الشاميين» (٤٣٥)، و«الدعاء» للطبراني (٢٦٤)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٤٨٤)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٧١٤)، و«المستدرك» (١/ ٥٤٠، ٥٤٩)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٣٩٦).

(٢٢٠) ينظر: «مسند الحميدي» (٧٢٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢٦٥٢٠)، و«صحيح البخاري» (٦٣١٥)، و«الأدب المفرد» (١٢١١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦١٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٤٢)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (١٢٤٨)، و«الدعاء للطبراني (٢٣٩، ٢٧٩)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٥١٨)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤١٣)، و«شعب الإيمان» (٤٣٨١، ٤٧٠٦)، و«شرح السنة» للبغوي (١٣١٦).

(٢٢١) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٦٥٩، ٢٤٣٨٨، ٢٥٥٥٦)، و«مسند عبد بن حميد» (١٠٤٠)، و«سنن الدارمي» (٣٤١١)، و«جامع الترمذي» (٢٨٩٢، ٣٤٠٥، ٣٤٠٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٥٤٢-١٠٥٤٥، ١٠٥٥١)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٦٣)، و«الدعاء» للطبراني (٢٦٦-٢٧٢)، و«المستدرك» (٢/ ٤١٢)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤١٠-٤١٢)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢٠٧، ١٢٠٨).

زوج كريم محبٍّ وزوجة مُحِبَّة مشوقة في هَدْأَة الليل وسكون المدينة الجميل، إنها عطاء وجداني يفيض على النفس بأنواع المَسَرَّة والإبهاج، ويُعطي العلاقة الزوجية عُمْقًا وجدانيًّا راسخًا في النفس.

وبعد هذه المناجاة الجميلة، فإن كان به حاجة الرجل إلى زوجته قضى الرغبة الزوجية الخاصة، فإذا فرغ من المعاشرة ناولته زوجته خرقة فمسح عنه أثر الجماع، ومسحت هي عنها[٢٢٢].

وربما وافق زوجتَه أيام طمثها، فلا ينقطع عنها الإسعاد الزوجي، فكان يباشر زوجته وهي حائض، ويأمرها أن تَأْتزر، فيصيبُ منها ما يصيبُ الزوج من زوجته غير الجماع[٢٢٣].

وفي ذلك إشعار بالرغبة في الزوجة، وأن هذا العارض الطبيعي لا يقطع ألوانًا من التواصل الزوجي البَهِيج.

ومن ذلك: حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في لحافه، فوجدتُ ما تجد النساء من الحيضة، فانْسَلَلْتُ من اللِّحاف، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَنُفِسْتِ**». قلتُ: وجدت ما تجد النساء من الحيضة. قال: «**ذلك ما كتب اللهُ على بنات آدم**». قالت فانسللتُ

(٢٢٢) ....؟؟؟؟

(٢٢٣) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٦٢٤)، و«مسند أحمد» (٢٥٤١٦)، و«مسند عبد بن حميد» (١٥٥١)، و«صحيح البخاري» (٣٠٢)، و«صحيح مسلم» (٢٩٣)، و«سنن أبي داود» (٢٦٨، ٢٧٣، ٢١٦٧)، و«جامع الترمذي» (١٣٢)، و«سنن ابن ماجه» (٦٣٥، ٦٣٨)، و«سنن النسائي» (٢٨١)، و«صحيح ابن حبان» (١٣٦٤)، و«سنن البيهقي» (١٥٤٣).

فأصلحتُ من شأني، ثم رجعتُ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تعالي فادخلي معي في اللِّحاف**». قالت: فأدخلني معه في لحافه(٢٢٤).

وكان يغتسلُ من الجنابة قبل أن ينام، وربما توضأ ونام وأخَّر الغسل لحين استيقاظه(٢٢٥).

وكان يغتسل أحيانًا هو وزوجته من إناء واحد، تختلف أيديهما فيه، تقول: «**دع لي، دع لي**». ويقول: دعي لي، دعي لي(٢٢٦). وهذا من المؤانسة وامتداد اللهو الجميل بين الزوجين.

ثم ينام، فإذا نام واستغرق في نومه نفخ ـ وهو صوت نفس النائم المرتفع ـ فإذا تقلَّب في فراشه من الليل قال: «**لا إله إلا الله الواحدُ القهارُ، ربُّ السموات والأرض وما بينهما العزيزُ الغفَّار**»(٢٢٧).

---

(٢٢٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٤١٦، ٢٦٥٢٥، ٢٦٧٠٣)، و«مسند الدارمي» (١٠٤٤)، و«صحيح البخاري» (٢٩٨، ٣٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (٦٣٧)، و«مسند أبي يعلى» (٧٠١٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٣٦٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣١١).

(٢٢٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٠٤، ٢٤٤٥٣)، و«صحيح مسلم» (٣٠٧)، و«جامع الترمذي» (٢٩٢٤)، و«سنن النسائي» (٤٠٤)، و«مسند أبي عوانة» (٧٩٠)، و«المستدرك» (١/ ١٥٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٠٠).

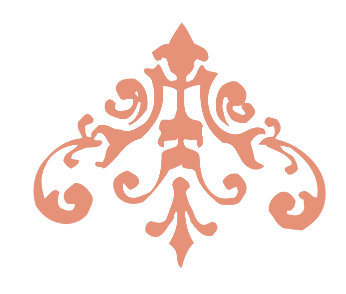
(٢٢٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٧٢٣)، و«صحيح البخاري» (٢٦١)، و«صحيح مسلم» (٣٢١)، و«سنن النسائي» (٢٣٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٨٨)، و«شرح السنة» للبغوي (٢٥٤).

(٢٢٧) ينظر: «مسند أحمد» (٣١٩٤)، و«صحيح البخاري» (٦٩٨)، و«صحيح مسلم» (٧٦٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٦٨٨، ١٠٧٠٠)، و«صحيح ابن حبان» (٢٦٢٦)، و«الدعاء» للطبراني (٧٦٤)، و«المستدرك» (١/ ٥٤٠)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٦٢)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٢٣).

وكان لا يتقلَّب من الليل إلا أجرى السواك على فمه، ثم يعود إلى نومه إلى أن ينتصف الليل[٢٢٨].

ويبدو أن هذه أطول فترة نوم ينامها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢٢٨) ينظر: «مسند عبد بن حميد» (١١٢٧)، و«مسند أحمد» (٣٥٤١، ٥٩٧٩، ٢٣٤٦١)، و«صحيح البخاري» (٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥، ٢٥٦، ٧٤٦)، و«سنن النسائي» (١٦٢٣)، و«مسند أبي يعلى» (٥٦٦١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٥٩٨)، وما تقدم في: (إذا أراد أن ينام).



ناشئة الليل

فإذا انتصف الليل استيقظ، ثم جلس يمسح النوم عن وجهه، وتناول سواكه فدلك به فمه الطَّيِّب المبارك، ثم رفع نظره إلى السماء، ينظر بتفكُّر في هدوء الليل وسكونه إلى عظمة الله في خلقه، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ...﴾ إلى أخر الآيات العشر من سورة آل عمران [١٩٠-٢٠٠]، ثم يقوم إلى قِربة معلَّقة فيُطلق رباطها، ويسكب الماء منها في قدح عنده، ثم يتوضأ وُضوءًا مقتصِدًا سَابغًا، ثم يلبس إزاره ورداءه ويخلع الخرقة التي كان يتَّزر بها، ثم يصلِّي صلاة الليل[٢٢٩].

---

(٢٢٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٦٤، ٢٥٧٢، ٣٥٤١)، و«صحيح البخاري» (١٨٣، ٩٩٢)، و«صحيح مسلم» (٧٦٣)، و«سنن أبي داود» (٥٦، ٥٨، ١٣٦٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٦٣)، و«سنن النسائي» (١٦٢٠، ١٦٢٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٧٧)، و«صحيح ابن حبان» (٢٥٧٩)، و«سنن البيهقي» (١/ ٣٩، ٨٩)، (٣/ ٧)،وما تقدم في خلعه إزاره ورداءه ولبسه الخرقة عند النوم، وما تقدم في تسوكه كلما قام من الليل.

وربما لهج لربه بالذكر والتسبيح والتعظيم قبل أن يبدأ صلاة التهجد، وكأن ذلك لمزيد التهيُّؤ والاستفتاح لقيام الليل، قالت عائشة رضي الله عنها: كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا هَبَّ منَ اللَّيل، كَبَّرَ عشرًا، وحَمَدَ عَشْرًا، وقال: «**سبحان الله وبِحَمْدِهِ**» عشرًا، وقال: «**سبحان الملك القدوس**» عشرًا، واستغفَرَ عشرًا، وهلَّلَ عشرًا، ثم قال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم القيامة**» عَشْرًا، ثم يفتتح الصلاة[(٢٣٠)].

وكان يبتدئُ قيامَه بركعتين خفيفتين، وكما كان صلى الله عليه وآله وسلم أخفَّ الناس صلاة إذا صلَّى بالناس، فقد كان أطولَهم صلاةً إذا صلَّى لنفسه، فصلاته في الليل أطول صلاته استفتاحًا وقراءة ودعاءًا؛ امتثالًا لقول ربه: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢][(٢٣١)].

والمتأمِّل لحاله صلى الله عليه وآله وسلم في تهجُّده، يستشعر أن صلاته بالليل صلاة مستغرقة، قد اجتمعت فيها كل مشاعره وأحاسيسه ونجواه، وكأنما

(٢٣٠) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥١٠٢)، و«سنن أبي داود» (٧٦٦، ٥٠٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٥٦)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١١٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١٠٧٠٦، ١٧٠٧)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٧٥٩).

(٢٣١) ينظر: «مسند أحمد» (٧٧٤٨، ١٢٧٣٤، ١٣١٢٦، ٢١٦٨٠، ٢١٩٠٨، ٢١٩١٢)، و«صحيح البخاري» (٧٠٨)، و«صحيح مسلم» (٤٦٩، ٧٦٥)، و«سنن أبي داود» (٧٩٤، ١٣٦٦)، و«جامع الترمذي» (٢٣٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٦٢)، و«مختصر قيام الليل» للمروزي (ص١٢٨)، و«سنن النسائي» (٨٢٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥٠، ١٦٠٤)، و«مسند أبي عوانة» (٢٢٤٣)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٥٦، ٢٦٠٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٣١٠)، و«المستدرك» (١/ ٢١٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٢٣٢)، (٣/ ١١٤-١١٥، ١١٨).

عَرِجت روحه إلى الملأ الأعلى، وغشيته أنوار حجاب النور الإلهي؛ فهو ينظرُ إلى عرش ربه بارزًا، ويناجيه خاليًا به، فحَمْدُه لربه أبلغ الحمد، وثناؤُه عليه أعظم الثناء، ودعاؤُه له أجمع الدعاء، ولا عجب؛ فهو الذي أُسري به حتى خرقت له السَّبع الطِّباق، وارتفع إلى مستوى يسمعُ فيه صَرِيف الأقلام[٢٣٢].

فكان أعلم الخلق بالله، وأكملهم إيمانًا، وأصدقهم يقينًا، وقال، وصدَقَ وبرَّ: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله لأنا**»[٢٣٣].

فإذا قام إلى صلاته استفتحها استفتاحَ المعظِّمِ لربه، المحبِّ له والمشتاق إليه، فاستفتاحُه جوامع التعظيم والحمد والثناء.

فمن فواتح صلواته إذا قام من الليل: «**اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢٣٤].

---

(٢٣٢) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٢٨٨)، و«صحيح البخاري» (٣٤٩، ٣٣٤٢)، و«صحيح مسلم» (١٦٣)، و«صحيح ابن حبان» (٧٤٠٦).
وصريف الأقلام: .....

(٢٣٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٦٨٢، ٢٤٣١٩)، و«صحيح البخاري» (٢٠)، و«سنن أبي داود» (٢٣٨٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٢٦).

(٢٣٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (٧٧٠)، و«سنن أبي داود» (٧٦٧)، و«جامع الترمذي» (٣٤٢٠)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٥٧)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١١٣)، و«سنن النسائي» (١٦٢٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٦٠٠)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٥)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٢٥).

ومنها: «**اللهمَّ لك الحمدُ، أنت نُورُ السموات والأرض ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنت مَلِكُ السموات والأرض ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ، لك مُلْك السموات والأرض ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنت الحقُّ، ووعدك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، وقولُك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمدٌ** صلى الله عليه وآله وسلم **حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنت إلهي، لا إله غيرك، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله**»[٢٣٥].

ومنها: «**وجَّهتُ وجهي للذي فطرَ السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيَاي ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريكَ له، وبذلكَ أمرتُ، وأنا من المسلمين، اللهمَّ أنت الملِكُ، لا إله إلا أنت؛ أنت ربِّي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي، فاغفرْ لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إِلَّا أنت، واصرفْ عنِّي سيِّئها لا يصرفُ عنِّي سيِّئها إِلَّا أنت، لبيك وسعديك، والخيرُ كلُّه في يديك، والشرُّ**

(٢٣٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٧١٠، ٣٣٦٨)، و«صحيح البخاري» (١١٢٠، ٧٤٩٩)، و«صحيح مسلم» (٧٦٩)، و«سنن أبي داود» (٧٧١)، و«جامع الترمذي» (٣٤١٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٥٥)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١١٣)، و«سنن النسائي» (١٦١٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥١، ١١٥٢)، و«مسند أبي عوانة» (٢٢٢٧-٢٢٣٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٥٩٧)، و«الدعاء» للطبراني (٧٥٣)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٢١)، و«شرح السنة» للبغوي (٩٥٠).

ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك»[٢٣٦].

ثم إذا قرأ فإنه يقرأ قراءة مترسِّلة مرتَّلة، لا يمرُّ بآية رحمة إِلَّا سأل، ولا آية عذاب إلا استعاذ، ولا آية تسبيح إلا سبَّح[٢٣٧].

وكان إذا قام أطال قيامه؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلةً، فلم يزل قائمًا حتى هممتُ بأمر سوء». قيل: وما هممتَ به؟ قال: «هممتُ أن أقعد وأذر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم»[٢٣٨].

وقد يطيلُ القراءة ويقلِّل الركعات، وقد يقتصد في القراءة، فيزيد في

(٢٣٦) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٤٧)، و«مسند أحمد» (٧٢٩، ٨٠٣)، و«صحيح مسلم» (٧٧١)، و«سن أبي داود» (٧٦٠)، و«جامع الترمذي» (٣٤٢١، ٣٤٢٣)، و«الآحاد والمثاني» (١٩٩٣)، و«سنن النسائي» (٨٩٧)، و«مسند أبي يعلى» (٥٧٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤٦٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٧٧١)، و«الدعاء» للطبراني (٤٩٤)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٢)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٧٢)، وما سيأتي في القول في ركوعه وسجوده صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢٣٧) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٢٦١، ٢٣٣١١)، و«صحيح مسلم» (٧٧٢)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٥١)، و«تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٣١٥)، و«سنن النسائي» (١٠٠٩، ١٦٦٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٥٤٢، ٦٨٤)، و«مسند أبي عوانة» (١٧٠٦)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣٠٩)، وما تقدم في قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في الفجر.

(٢٣٨) ينظر: «مسند أحمد» (٣٦٤٦، ٣٧٦٦، ٤١٩٩)، و«صحيح البخاري» (١١٣٥)، و«صحيح مسلم» (٧٧٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٤١٨)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٢٩-١٣٠)، و«مسند أبي يعلى» (٥١٦٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٥٤)، و«صحيح ابن حبان» (٢١٤١)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٨).



الركعات، ولم تزد صلاته بالليل على ثلاث عشرة ركعة(٢٣٩).

وكان يطيل ركوعه، فكان ركوعه قريبًا من قيامه(٢٤٠).

وكان يقول في ركوعه: «**اللَّهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، وعليك توكلتُ، أنت ربي، خَشَعَ لك سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله ربِّ العالمين، سبحان ذي الجبروت والكبرياء والعظمة**»(٢٤١).

وكان يكثرُ أن يقولَ في آخر حياته في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهمَّ ربنا وبحمدك، اللهمَّ اغفرْ لي**». فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك؟ فقال: «**أخبرني ربِّي أني سأَرَى علامةً في أمتي، فإذا رأيتُها أكثرتُ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتُها:** ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ

(٢٣٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٠٧٣، ٢٤١١٦، ٢٥٤٤٧، ٢٦٣٥٨)، و«صحيح البخاري» (١١٤٧، ١١٧٠، ٣٥٦٩)، و«صحيح مسلم» (٧٣٧، ٧٣٨)، و«سنن أبي داود» (١٣٤١)، و«جامع الترمذي» (٤٣٩)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٢٠-١٢١)، و«سنن النسائي» (١٦٩٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٦٦، ٢٣٠٤)، و«مسند أبي عوانة» (٣٠٥٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٣٠)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٩٥)، و«فتح الباري» (٣/ ٢١).

(٢٤٠) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٣٦٧)، و«صحيح مسلم» (٧٧٢)، وما تقدم في قراءته صلى الله عليه وآله وسلم مترسلة مرتلة.

(٢٤١) ينظر: «مسند أحمد» (٩٦٠، ٢٣٩٨٠)، و«صحيح مسلم» (٧٧١)، و«سنن أبي داود» (٨٧٣)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٨٢-١٨٣)، و«سنن النسائي» (١٠٤٩، ١٠٥١، ١٠٥٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٦٠٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٢٥-٥٣٠)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٣١٠)، وما تقدم في استفتاحه صلى الله عليه وآله وسلم: «**وجهت وجهي...**».

﴿ ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ١-٣]»[٢٤٢]. وكان هذا إيذانا بدنو أجله، وقرب لحوقه بالرَّفيق الأَعْلَى.

وكان يطيل سجوده قريبًا من ركوعه، ويبتهل فيه إلى ربه بأنواع المسألة، فهو الذي قال: «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاءَ**»[٢٤٣].

وكان يقول في سجوده: «**اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، وأنت ربي، سجد وجهي للذي خلقه، وصوَّره فأحسنَ صُوَره، وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين، اللهمَّ اغفر لي ذنبي كله، دِقَّهُ وجِلَّه، وأوَّله وآخِرَه، وعلانيته وسرَّه، اللهمَّ إنِّي أعوذُ برضاكَ من سخَطِكَ، وبمُعافاتك من عُقُوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك،**

(٢٤٢) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٦٨٥، ٢٥٥٦٧)، و«صحيح البخاري» (٨١٧، ٤٩٦٨)، و«صحيح مسلم» (٤٨٤)، و«سنن أبي داود» (٨٧٧)، و«سنن ابن ماجه» (٨٨٩)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص ١٨٢)، و«سنن النسائي» (١٠٤٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٦٠٥)، و«مسند أبي عوانة» (١٨٨١-١٨٨٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٢٩، ١٩٣٠)، و«الدعاء» للطبراني (٦٠٠-٦٠٤)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢٦٦٢)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١٠٩)، و«شرح السنة» للبغوي (٦١٨٠).

(٢٤٣) ينظر: «مسند أحمد» (٩٤٦١)، و«صحيح مسلم» (٤٨٢)، و«سنن أبي داود» (٨٧٥)، و«تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢٩٥-٢٩٧)، و«سنن النسائي» (١١٣٧)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٢٨)، و«الدعاء» للطبراني (٦١١-٦١٣)، و«سنن البيهقي» (٢/ ١١٠)، وما تقدم في إطالته صلى الله عليه وآله وسلم الركوع.

سبُّوحٌ قدُّوسٌ، ربُّ الملائكة والرُّوح»[٢٤٤].

ويا لله لهذا النبي الكريم وهو يخافت ربه في سكون الليل بهذه النجوى، ويذكر ربه هذا الذكر المفعم بالتقدِّيس والتعظيم والتألُّه والاستكانة، أي أفق علوي تعرُج إليه روح هذا النبي وتسمُو إليه أشواقه وهو يذكر هذا الذكر ويتبتَّل لربه هذا التبتُّل! لكأن جبال الأرض تصغي إليه، ونجوم السماء تنظر إليه، ثم تتناجى وتقول هذا الذي أنزل عليه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٨].

ولا يزال نبيُّك صلى الله عليه وآله وسلم يقطع آناء الليل بين قراءة خاشعة ومسألة ضارعة وتسبيح قدسي، إلى أن يبقى سدس الليل.

يبيتُ يجافي جنبَه عنْ فِرَاشِه   إذا استثقلَتْ بالمشركينَ المضاجعُ

فإذا أتم قيامه وأراد أن يُوتر أيقظ زوجه لتُوتر معه[٢٤٥].

(٢٤٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٠٦٣، ٢٤٣١٢، ٢٥٦٥٥)، و«صحيح مسلم» (٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٧)، و«سنن أبي داود» (٨٧٢، ٨٧٨، ٨٧٩)، و«جامع الترمذي» (٣٤٩٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٠٥٤، ٣٨٤١)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٨٢)، و«سنن النسائي» (١٦٩، ١١٠٠، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٣٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٦٥٤، ٦٥٥، ٦٧١-٦٧٣)، و«مسند أبي عوانة» (١٦٠٨، ١٨٨٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٨٩٩، ١٩٣١، ١٩٣٣، ١٩٧٨)، و«الدعاء» للطبراني (٥٨٢، ٦٠٧)، و«المستدرك» (١/ ٢٦٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٢٧)، (٢/ ٨٧، ١١٠)، و«شرح السنة» للبغوي (٦٢٠)، وما تقدم في استفتاحه صلى الله عليه وآله وسلم: «**وجهت وجهي...**»، وقوله في الركوع: «**اللهم لك ركعت...**».

(٢٤٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٢٣٦، ٢٥٥٩٩، ٢٥٦٩٦، ٢٥٦٩٧)، و«صحيح البخاري» (٥١٢، ٩٩٧)، و«صحيح مسلم» (٥١٢، ٧٤٤)، و«سنن أبي داود» (٧١١)، و«سنن النسائي» (٧٥٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٨٢٣، ٨٢٤)، و«مسند أبي عوانة» (١٤١٩، ١٤٢٠)، و«صحيح ابن حبان» (٢٣٤٤)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٢٨).

وكان يُوتر بثلاث ركعات، يقرأ في الأولى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وكان يضيف إليها أحيانًا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٢٤٦].

وكان يقول في آخر وتره: «**اللهمَّ إني أعوذ برضاك من سخطِكَ، وبمعافاتِكَ من عقوبتك، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أُحْصِي ثناءً عليكَ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك**»[٢٤٧].

فإذا فرغ من وتره قال: «**سبحانَ المَلكِ القدُّوس، سبحانَ الملكِ القدُّوس، سبحانَ المَلكِ القدُّوس**». يطيلُ الثالثةَ ويمد بها صوته[٢٤٨].

(٢٤٦) ينظر: «مسند الطيالسي» (٥٤٨)، و«مسند أحمد» (٢٧٢٠، ٢٧٢٥، ١٥٣٥٤-١٥٣٦٢، ٢٥٩٠٦)، و«سنن أبي داود» (١٤٢٣)، و«جامع الترمذي» (٤٦٢، ٤٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (١١٧١-١١٧٣)، و«مختصر كتاب الوتر» لمحمد بن نصر المروزي (ص٢٩١، ٣٠٣)، و«سنن النسائي» (١٦٩٩-١٧٠٢، ١٧٢٩-١٧٣٣)، و«صحيح ابن حبان» (٢٤٤٢)، و«المستدرك» (١/ ٣٠٥)، (٢/ ٣٥٧، ٥٢٠، ٥٢١)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٣٧-٣٨)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٣٥، ٤٣٦).

(٢٤٧) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٢٥)، و«مسند أحمد» (٧٥١، ٩٥٧، ١٢٩٥)، و«مسند عبد بن حميد» (٨١)، و«سنن أبي داود» (١٤٢٧)، و«جامع الترمذي» (٣٥٦٦)، و«سنن ابن ماجه» (١١٧٩)، و«سنن النسائي» (١٧٤٧)، و«مسند أبي يعلى» (٢٧٥)، و«الدعاء» للطبراني (٧٥١)، و«المستدرك» (١/ ٣٠٦)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٢٩)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٣٧).

(٢٤٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (٥٤٨)، و«مسند أحمد» (١٥٣٥٤-١٥٣٦٢)، و«مختصر كتاب الوتر» لمحمد بن نصر المروزي (ص٣٠٣)، و«سنن النسائي» (١٦٩٩، ١٧٠١، ١٧٢٩، ١٧٣٢، ١٧٣٣)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٤٣٥، ٤٣٦)، وما تقدم في قراءته من صلاة الوتر.



وقد كان نبيُّك صلى الله عليه وآله وسلم يصلِّي في حجرته التي زوى عنها ترف العيش ونَعِيم الدنيا، فربَّما صلَّى على الخُمْرة، وهي حَصِير صغير بقدر ما يسجد عليه، وربما صلَّى ولا فراش له إلا فراش زوجه، فيصلِّي وهي معترضة أمامه، ولم يكن في بيوته مصابيح، فإذا أراد أن يسجد غمزها، فتكف رجليها عن موضع سجوده، فإذا قام بسطتها(٢٤٩).

وربما خرج فصلَّى في المسجد أحيانًا قليلة، وكأنما يفعل ذلك لأمر عارض، أحسبه خشية أن يوقظ زوجته بصلاته إذا صلَّى عندها وهي نائمة، فيصلِّي في المسجد، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: فقدتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلةً في الفراش، فالتمستُه، فوقعتْ يدي على بطن قدميه وهما منصوبتان في المسجد، وهو يقول: «**اللهمَّ أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسك**»(٢٥٠).

---

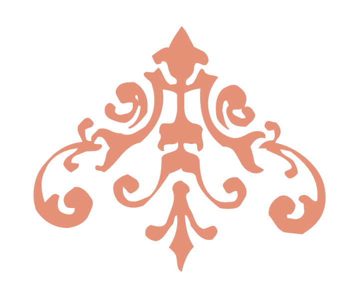
(٢٤٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٦٤٨، ١٧٣١)، و«مسند أحمد» (٢٤٢٦، ٥٦٦٠، ٢٥١٤٨، ٢٥١٦٣، ٢٥٤٨٩، ٢٦٥٧٨، ٢٦٨٠٨)، و«صحيح البخاري» (٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ١٢٠٩)، و«صحيح مسلم» (٥١٢)، و«سنن أبي داود» (٦٥٦)، و«جامع الترمذي» (٣٣١)، و«سنن ابن ماجه» (١٠٢٨)، و«سنن النسائي» (١٦٨، ٧٣٨)، و«مسند أبي يعلى» (٤٨٨٨، ٦٨٨٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٠٠٧)، و«صحيح ابن حبان» (٢٣١٢، ٢٣٤٢، ٢٣٤٦، ٢٣٤٨)، و«سنن البيهقي» (١/ ١٢٨)، (٢/ ٢٦٤، ٤٢١).

(٢٥٠) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٦٥٥)، و«صحيح مسلم» (٤٨٦)، و«سنن أبي داود» (٨٧٩)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٤١)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٨١)، و«سنن النسائي» (١٦٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٦٥٤)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٣٢)، و«سن البيهقي» (١/ ١٢٦)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (٢١٩)، وما تقدم من قوله في سجوده.

وقالت أيضًا: فقدتُه ذاتَ ليلةٍ، فظننتُ أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسَّستُ، ثم رجعتُ، فإذا هو راكع أو ساجد، يقول: «**سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنتَ**». قالت: فقلتُ في نفسي: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، أنا في شأن، وأنت في شأن آخر[٢٥١].

(٢٥١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥١٧٨، ٢٥١٨٠)، و«صحيح مسلم» (٤٨٥)، و«سنن النسائي» (٣٩٦١، ٣٩٦٢)، و«مسند أبي عوانة» (١٨٢٠)، و«الدعاء» للطبراني (٦٠٥)، و«شرح السنة» للبغوي (٦١٩).





خطوات في سكون الليل

وربما خرج في الليل وقت التهجد إلى بيت ابنته فاطمة وزوجها علي عليهم السلام، فيطرقهما ويناديهما: «**أَلَا تقومان فتصليان؟**». قال عليٌّ رضي الله عنه: فقلتُ: يا رسولَ الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قلتُ له ذلك، ولم يَرْجِع إليَّ شيئًا، ثم سمعتُه وهو مُدْبِر يضرب على فخذه، ويقول: «﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [ ]»[٢٥٢].

وكان في آخر حياته يخرج في الليل إلى البَقِيع، فيدعو لهم، وكان أول ذلك ما أخبرت به عائشةُ رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها عندي، انقلبَ فوضعَ رداءَه، وخلع نعليه فوضعَهُما عند رجليه، وبَسَطَ طَرَفَ إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبثْ إلا رَيْثَما ظنَّ أن قد

(٢٥٢) ينظر: «مسند أحمد» (٥٧١، ٧٠٥)، و«صحيح البخاري» (١١٢٧، ٧٣٤٧)، و«صحيح مسلم» (٧٧٥)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص١٠٠)، و«سنن النسائي» (١٦١١، ١٦١٢)، و«مسند أبي يعلى» (٣٦٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (١١٣٩، ١١٤٠)، و«مسند أبي عوانة» (٢٢٠٦-٢٢٠٩)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٥٠٠).

رقدتُ، فأخذ رداءَه رُويدًا، وانتعل رُويدًا، وفتح الباب فخرج، ثم أَجَافَه رُويدًا، فجعلتُ دِرْعِي في رأسي، واختمرتُ وتقنَّعتُ إزاري، ثم انطلقتُ على إِثْرِه.

حتى جاء البَقِيعَ، فقام فأطالَ القيامَ، ثم رفع يديه ثلاثَ مراتٍ، ثم انحرف فانحرفتُ، فأسرعَ فأسرعتُ، فهَرْوَلَ فهَرْوَلْتُ، فأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ(٢٥٣)، فسبقتُه فدخلتُ، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل، فقال: «**ما لك يا عائشُ، حَشْيَا رَابِيةً(٢٥٤)**». قالت: قلتُ: لا شيء. قال: «**لتُخْبِريني، أو ليخبرنيِّ اللطيفُ الخبيرُ**». قالت: قلتُ: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمي.. فأخبرتُه، قال: «**فأنتِ السوادُ الذي رأيتُ أمامي؟**». قلتُ: نعم. فلَهَدَني(٢٥٥) في صدري لهدةً أوجعتني، ثم قال: «**أظننتِ أن يَحِيفَ اللهُ عليك ورسولُه**». قالت: مَهْما يكتُمِ الناسُ يعلَمْه اللهُ، نعم. قال: «**فإنَّ جبريلَ أتاني حين رأيتِ، فناداني فأخفاه منك، فأجبتُه فأخفيتُه منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك، وظننتُ أن قد رقدتِ، فكرهتُ أن أوقظكِ، وخشيتُ أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرُك أن تأتيَ أهل البَقِيع؛ فتستغفرَ لهم**».

قالت: قلتُ: كيف أقولُ لهم يا رسولَ الله؟ قال: «**قولي: السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحمُ اللهُ المستقدمينَ منا والمستأخرينَ، وإنَّا إن شاء اللهُ بكم للاحقون**»(٢٥٦).

---

(٢٥٣) .....

(٢٥٤) .....

(٢٥٥) .....

(٢٥٦) ينظر الحديث الذي بعده.

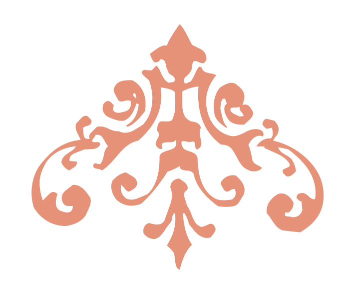
ثم كان بعد ذلك يخرج كل ليلة من آخر الليل إلى البَقِيع، فيقول: «**السلامُ عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدًا مؤجَّلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهمَّ اغفر لأهل بَقِيع الغَرْقَد**»(٢٥٧).

ويالله لهذا النبيِّ الذي يَسْرُبُ في سكون الليل ليقف أمامَ قبور أصحابه الذين قَضَوْا نحبهم قبل أن يروا نصرَ الله والفتح ودخولَ الأفواج في دين الله، مَضَوْا إلى ربهم في وقت القِلَّة والشِّدَّة والصبر واللَّأْوَاءِ والمصابرة، فأَفْضَوا إلى ربهم، لم يتعجَّلوا شيئًا من أجورهم.

ثم ها هو صلى الله عليه وآله وسلم لم تشغله أفواجُ الوافدين عليه، ولا مشاغلُ انفساح رُقعة الإسلام بين يديه، فإذا هو يقتص من وقت راحته وسكونه وقتًا يقف فيه أمام قبورهم، يستعيد ذِكْرى أطيافهم المباركة، باسطًا يديه في موقِف دعاء ووفاء.

كان صلى الله عليه وآله وسلم يُوشكُ أن يودِّعَ الدنيا، فجعلَ يودِّعُ الأمواتَ والأحياءَ قبل أن يلحق بالرَّفيق الأعلى والمَحَلِّ الأَسْنَى.

(٢٥٧) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٥٣٢)، و«مسند أحمد» (٨٨٧٨، ٢٤٨٠١، ٢٥٨٥٥)، و«صحيح مسلم» (٩٧٤)، و«سنن أبي داود» (٣٢٣٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤٦)، و«سنن النسائي» (٢٠٣٧، ٢٠٣٩، ٣٩٦؟؟٣)، و«مسند أبي يعلى» (٤٥٩٣، ٤٦١٩، ٤٧٥٨، ٤٨٣١)، و«صحيح ابن حبان» (٣١٧٢، ٤٥٢٣)، و«الدعاء» للطبراني (٢١٤٦)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٧٨)، (٥/ ٢٤٩).

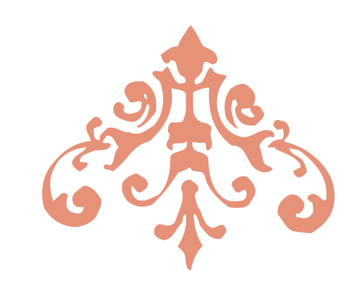


إغفاءة السَّحَر

فإذا تدافعت ساعاتُ الليل، ولم يبقَ من الليل إلا صُبابَتُه الأخيرةُ، وسُدُسُه الأخيرُ، أَوَى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فراشه؛ ليريح البدنَ الشريفَ بعد سَبْحِ ليلٍ طويلٍ، ذِكْرًا وصلاةً ودعاءً وتعاهدًا للأقارب الأحياء، وللأصحاب الأموات، فيَهْجَعُ هجعةً يَجِمُّ بها بدَنَه بعد القيام، ويهيِّؤه لاستقبال صلاة الصبح وعمل النهار بنشاط وإقبال، فتتقصَّف سُويعةُ السَّحَر ونبيُّك صلى الله عليه وآله وسلم مستغرق في نومه، تقولُ أُمُّنا عائشةُ رضي الله عنها: «ما أَلْفَى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم السَّحَر عندي إلا نائمًا»(٢٥٨).

ويظلُّ صلى الله عليه وآله وسلم في نومته تلك حتى يَصْدَعَ نورُ الفجر ظلمةَ الليل؛ ويَصْدَعَ أذانُ بلالٍ سكونَ المدينة، فيستيقظُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبتدئُ يومٌ نبويٌّ جديدٌ، معطَّرٌ بأنفاس النبوَّة، مُنَوَّر بأنوار الرِّسالة.

(٢٥٨) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٥٨٥)، و«مسند أحمد» (٢٥٢٧٨، ٢٥٦٩٨)، و«صحيح البخاري» (١١٣٣)، و«صحيح مسلم» (٧٤٢)، و«سنن أبي داود» (١٣١٨)، و«مسند أبي يعلى» (٤٦٦٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢٦٣٧)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٣).



قراءة لليوم النبوي

اليومُ النبويُّ يشكِّل مَقْطَعًا عموديًّا للحياة النبوية العريضة، يتجلَّى لنا من خلاله باقة من الدِّلالات العميقة:

١ – أن هذا **اليوم النبوي** هو الوعاء الزماني للإنجازات الكبرى التي تحقَّقت على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يَعرفِ التاريخ إنجازًا تحقَّق على يد بشر كالإنجاز الذي تحقَّق على يد هذا الرسول الكريم العظيم.

٢ – ألم يلفتْ نظرَك شدَّةَ الوضوح إلى درجة السُّطوع في حياته صلى الله عليه وآله وسلم اليومية، فليس في حياته زوايا مظلمة أو حلقات مفقودة، بل كل حاله جَلِيٌّ ظاهر باهر، حتى إنا نعلم حاله في بيته إذا أغلق بابه، وحاله على فراشه إذا نام مع أهله، وصوت نَفَسِه إذا نام، وأول ما يقول إذا استيقظ.

لقد شعرتُ وأنا أتتبَّع برنامج **اليوم النبوي** أني أعرفُ عن نبيي أكثر مما أعرف عن أبي الذي ولدني، ففدًى له نفسي وأمي وأبي؛ فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مُشْرَقَ الحياة، كان نبيًّا يمشي تحت الشمس.

٣– يتَّضح من هذا اليوم أن أعمق عباداته صلى الله عليه وآله وسلم وأكثرها

استغراقًا، هي عبادات السر التي كان يفعلها في بيته وفي سكون الليل، والتي لزمها وداوم عليها حتى لقي ربه.

وتلك دلالة من دلالات النبوة؛ إذ لا يمكن أن يكون هذا التبتُّل المستغرق المنتظم، والذي استمر عليه عمره كله، صنيعًا مُدَّعًى ولا مُتَقَوَّلًا -وحاشاه صلى الله عليه وآله وسلم- لكنه دلالة على يقين صادق وإيمان عميق بما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم ويبلِّغه.

٤- يلفت نظرَك إلى حد الإدهاش أن هذا النبيَّ الذي تلقى بشائر الله له أنه قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، هو أكثرُ الناس استغفارًا؛ فهو يَستقبل صَبِيحةَ كل يوم بالاستغفار مائة مرة، ويُعَدُّ له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة: «**أستغفر الله، وأتوب إليه**». ثم يستغفر ربَّه بضراعة وخشوع في صلاته الليلية: «**اللَّهمَّ اغفرْ لي ما قدَّمتُ، وما أخرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أنت أعلمُ به منِّي، أنتَ المقدِّم، وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت**»(٢٥٩).

يستغفرُ هذا الاستغفار، وهو الذي غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصوم أن يقارف ذنبًا أو يكسب إثمًا، ماذا نقول نحن؟! أوقات حياتنا لا تكاد تفلت من وقوع في خطأ، أو مقارفة لخطيئة، اللهم غُفْرًا.

٥- يُلَاحظ لَهَجُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بالذِّكر؛ بحيث تستشعر أن هذا النبي الكريم يعيش حالة من الحب والشوق لله عز وجل، وكأنه يتراءى جلالَ ربه، فلا يفتُر لسانه عن ذكره، فهو أول ما ينطق به إذا استيقظ، وآخر ما تتحرَّك به شفتاه إذا نام، يستقبل بالذكر صَبَاحات نهاره، ومَسَاءات ليله،

(٢٥٩) تقدم تخريجه في موضعه.

ولا يزال لسانه رَطْبًا بذكر الله فيما بين ذلك كله، إنه الاستحضار العميق لمعاني العبودية والحب لله عز وجل.

٦- نلاحظ تبكير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أداء الصلوات في أول وقتها، إلا العشاء، فربما تراخى فيها قليلًا.

٧- حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه يكون عقب الصلوات، فكثيرًا ما يكون بعد الفجر والظهر؛ لأن الناسَ في حال نشاط وراحة، فهاتان الصلاتان مسبوقتان بنوم الليل وقيلولة الضحى، ويتحدَّث نادرًا بعد العصر والعشاء؛ لأن الناسَ في حال كلال وحاجة إلى الراحة، ولم يُنقل أنه تحدَّث بعد المغرب؛ لأن الناس بعدها بحاجة إلى عشائهم؛ فلذا يبادر بها في أول وقتها، ولا يطيل القراءة فيها، ولا يتحدَّث بعدها.

٨- التوازن في أداء الحقوق، والتوازن في استيعاب مناشط الحياة؛ فأداؤه لعباداته، وبلاغه لرسالاته، وقيامه بحقوق أهله، وعشرته لأصحابه، ومراعاة حق نفسه، وغير ذلك من متطلباته؛ كل ذلك يسير متوازيًا متوازنًا، من غير أن تَرَى تقصيرًا في حقٍّ أو إخلالًا بواجب، وإنما الاستيعاب المتوازن للحقوق الخاصة والعامة، بحيث ترى في حياته التطبيق العملي لوَصاته يوم قال: «**إنَّ لجسدكَ عليك حقًّا، وإنَّ لعينكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لزوجكَ عليك حقًّا، وإنَّ لضيفكَ عليك حقًّا، وإنَّ لولدكَ عليك حقًّا، وإنَّ لصديقكَ عليك حقًّا**»[٢٦٠].

(٢٦٠) ينظر: «مسند أحمد» (٦٨٣٢، ٦٨٦٧، ٢٦٣٠٨)، و«صحيح البخاري» (١٩٦٨، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ٦١٣٩)، و«صحيح مسلم» (١١٥٩)، و«سنن أبي داود» (١٣٦٩، ٢٤٣٢)، و«جامع الترمذي» (٧٤٨، ٢٤١٣)، و«سنن النسائي» (٢٣٩١)، و«مسند أبي

وقد أَعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

٩- يُلَاحظ أن حياته مزدحمة وحافلة، ولكنها ليست متوتِّرة ولا مرتبكة؛ فبرغم كثرة المشاغل وازدحامها، فإن نفْسَه هادئة مسترخية، فلا تجد اضطرابًا ولا توتُّرًا، وإذا نظرت إليه في حالٍ ظننتَ أن ليس له عمل قبلها ولا بعدها، فحاله في بيته لا تدل على أن أعباء الحياة ومشاغلها تنتظره في الخارج، وجلوسه مع أصحابه لا يَدُلُّكَ أنه في حال تحفُّز أو قلق لعمل آخر ينتظره؛ فهو مقبل عليهم بكلِّه، مسترخٍ بنفسه معهم، يَسَعُهُم جميعًا حسنُ خلقه، وكأن عمله الوحيد هو هذا المجلس الذي هو فيه، إن هذه حالة استواء نفسي تستوعب الأعمال دون أن تتوتر أو ترتبك.

١٠- نلاحظ أن حياته صلى الله عليه وآله وسلم حياة مُرَتَّبة وليست رَتِيبة، فهي مرتَّبة، ولكنها أيضًا مَرِنَة، بحيث تسمح بالتموُّج تبعًا لمقتضيات الحال؛ فليس في حياته فوضى وارتباك، وليس في حياته رَتَابة وصَرَامة، ولكن ترتيب ومرونة؛ فوقت الصلوات وقت محدَّد يرتِّب ما بينها، ومجلسُه صلى الله عليه وآله وسلم يمكن أن يطول ويقصر بحسب مستجدات الأحوال، وبذلك تحقَّقت في حياته إيجابيات التنظيم، وتخلَّص من سلبيات الرَّتَابة وحِدِّيَّة الصرامة.

١١- نلاحظ في حياته صلى الله عليه وآله وسلم عَفَوية الحياة وبساطتها، فحياته صلى الله عليه وآله وسلم بعيدة عن التواقر المتكلَّف والجدية الصارمة.

يعلى» (٨٩٨، ٧٢٤٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢١٤٤)، و«صحيح ابن حبان» (٣١٦، ٣٥٧١)، و«المستدرك» (٤/ ٦٠)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٢٧٥، ٢٩٩)، و«فتح الباري» (٣/ ٣٩)، (٤/ ٢١٨).

ولكن للعفوية والبساطة حضورها، فهو الذي يبتهج مع البهجة، ويأنس مع الأُنس، ويتوثَّب في نشوة الفرح، حتى يسقط رداؤه ليتلقَّى حبيبًا جاء بعد طول غياب[٢٦١]، ويسير في طريقه ثم يحيد إلى شاب يسلخ شاة، فيحسرِ عن ذراعه؛ ليُرِيَه كيف يُحْسِنُ السَّلْخ[٢٦٢]، ويمرُّ برجل يطبخ لحماً في بُرْمة، فيقول: «**إن كانت نضجت فأطعمنا**»[٢٦٣].

إن هذه العَفَويَّة في التعامل مع الناس حَطَّمت كل الحواجز، بحيث أفضى إليهم بقلبه، وأَفْضَوْا بقلوبهم إليه، وشعروا أنهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبناءٌ مع أبٍ لهم.

١٢- الأُنْس والبهجة حاضرة في بيته؛ فقد كان في بيته ضَحُوكًا بَسَّامًا، حاضرةً في مجلسه؛ ففيه فُسحة للطُّرْفَة الجميلة والمداعبة المُؤْنِسة، وحاضرةً في حياته، فهو الذي يخرج وينظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فيستمتع بمنظر لهوهم مؤصِّلًا، ويدعو زوجه لتشاركه أُنْس المنظر، ثم يقول مؤصِّلًا لهذا الهَدْي: «**العبوا بني أَرْفِدة؛ حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا سَعة**»[٢٦٤]. لقد كان في دينه سَعة، وفي حياته سَعة للأُنْس والبهجة.

١٣- قوة العلاقة العاطفية الزوجية، وإشباع هذه العاطفة، التي تظهر في مناولة قدح الماء، ومناولة لقمة الطعام، والمؤانسة في الحديث الليلي، والتعاهد

---

(٢٦١)

(٢٦٢) تقدم تخريجه في موضعه.

(٢٦٣) تقدم تخريجه في موضعه.

(٢٦٤)

بالزيارة النهارية، والمشاركة في مِهْنة البيت، والتواصل الزوجي الحميم على فراش الزوجية وتحت لحافها.

١٤- تفهُّمه لِفِطَر الناس وحاجاتهم ومشاغلهم، حتى في أدائه للعبادة، فكان أقصر الناس صلاة إذا صلَّى بالناس، مع أنه كان أطولهم صلاة إذا صلَّى لنفسه، وكان يدخل الصلاة وهو يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبيِّ فيخفِّفها؛ لِمَا يعلم من وَجْدِ أمه[٢٦٥].

١٥- صلاته بالليل هي أعمق صلاته حضورًا واستغراقًا وتلذُّذًا بالمناجاة؛ بل هي حالة من حالات التجلِّي الروحي والاستغراق العبادي.

١٦- يمكن تقسيم فترات النشاط إلى ثلاث فترات:

فترة النشاط والحيوية والصفاء في قيام الليل؛ لأن قيامه للتهجد هو بعد أطول فترة نوم ينامها في نصف الليل الأول، فكأنما كان يستجمع صفو نشاطه لهذا الحال؛ إذ صلاته هي راحته وقُرَّة عينه، ثم بعد الفجر؛ إذ هي تَعقب إغفاءة السحر، فيصلِّي الفجر ويذكر ربه، ثم يجلس لأصحابه وعظًا وتعليمًا وتربية، ثم بعد صلاة الظهر؛ إذ هي تعقب القيلولة، فيصلِّي الظهر ويخطب إن كان قد حدث أمر، أو يجلس لأصحابه يحدِّثهم ويقضي حوائجهم.

١٧- يلاحظ أن الصلوات هي فواصل الأوقات، فالوقت يقسم إلى وحدات زمنية تفصلها الصلوات.

١٨- يمكن تقسيم برنامج اليوم النبوي تقسيمًا تقريبيًا على النحو التالي:

---

(٢٦٥)

أ- الفجر، وفيه: يستيقظ لصلاة الفجر بعد نومة السَّحَر، فيصلِّي الفجر، ويمكث في مصلَّاه مع أصحابه إلى طلوع الشمس، ثم يقوم بجولة صباحية على زوجاته، ثم يجلس في أول الضحى مع أصحابه في المسجد، وهذا مجلس ذكر وعلم وتربية، ثم يقوم أحيانًا بزيارات بعد هذا المجلس، فربما زار بُنَيَّاته، أو زار بعض أصحابه، وربما ذهب لقضاء بعض شأنه الخاص.

فإذا تعالى الضحى، فإنه وقت النوم والقيلولة، فيَقِيل قبل صلاة الظهر، وهذه النومة إراحة للبدن، ومَدَد لقيام الليل.

ب - الظهر: يستيقظ لصلاة الظهر، فيصلِّي الظهرَ، فإن كان حدَثَ أمرٌ خَطَبَ بعد صلاة الظهر، وأكثرُ خطبِه في هذا الوقت، ثم يعود إلى بيته فيصلِّي السُّنة الراتبة، ثم يخرج فيجلس إلى أصحابه، أو يذهب لقضاء بعض شأنه، فقد كان ما بين الظهر والعصر وقت عمل وقضاء حاجات.

ج- العصر: يصلِّي العصر في أول وقتها، ثم يقوم بعد صلاة العصر بجولة مسائية على زوجاته وربما اجتمعن له في بيت التي هو عندها، وكأنما ما بين العصر والمغرب وقت استرخاء أُسَري في الغالب.

د- المغرب: يصلِّي المغرب في أول وقتها، ثم يتعشَّى، ويبقى في بيته، وهذا هو وقت تناول الوجبة الرئيسية، وهي وجبة العشاء.

هـ - العشاء: يصلِّي العشاء، ثم يعودُ إلى بيته، فيسمُر مع أهله، وربما ذهبَ في زيارات لبعض الأنصار، أو سَمَر مع أبي بكر وعمرَ في بيت أبي بكر رضي الله عنهما؛ للتشاور في شؤون الدولة وقضايا المسلمين، ثم يعود بعد سمره إلى

بيته، فينام إلى منتصف الليل، ويستيقظ إذا انتصف الليل ليصلِّي صلاة الليل، وهو في ذِروة نشاطه بعد أطول نومة، فيستمر في حاله هذه من الصلاة والمناجاة بقدر ثلث الليل، حتى إذا لم يبق إلا سدس الليل عاد إلى فراشه ليستريح ويغفي إغفاءة السَّحَر إلى صلاة الفجر.

***